بحوث موضوعية في نهج البلاغة

نظام العلاقات الإجتماعية في نهج البلاغة

الشيخ خليل رزق

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

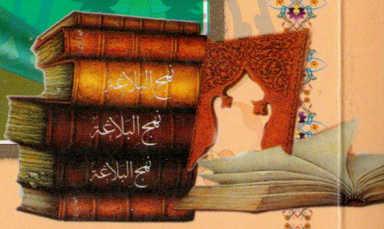

ت الاجتماعية

ج البلاغة

الكتاب:	نظام العلاقات الاجتماعية في نهج البلاغة
المؤلف:	الشيخ خليل رزق
الناشر:	دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة:	الأولى ٢٠٠١م ـ ١٤٢٢هـ

جميع الحقوق محفوظة ©

طُبع على ورق بالكي العالمي الذي يعكس أشعة الشمس

بحوث موضوعية في نهج البلاغة (٣)

نظام العلاقات الاجتماعية في نهج البلاغة

الشيخ خليل رزق

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

بين الإمام علي عليه السلام ونهجه:

مِلحُ الأرض، وزينة الدنيا، والسَّنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولُباب كل جوهرٍ كريم...

ذاك هو أمير المؤمنين، وإمام الموحّدين، وسيد المتّقين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

معدنِ الفهم، وينبوع العلم، وفيض من وحي نبوّة أحمد، ودليل كل موحّد. نهج للعارفين، وسبيل للسالكين، ودليل للمجاهدين، ودستور للحاكمين. نهج حياة، ونهج فلاح وجهاد، ونهج للهداية وللعدل والمساواة.

ذاك هو التراث الخالد للإمام علي عليه السلام : نهج البلاغة

كان ولا يزال رائداً لكل حملة العلم والأدب، وموضع إهتمام الناس على إختلاف مذاهبهم وألوانهم، لأنه الحقيقة الكاملة والصافية

التي أعطاها الإمام علي عليه السلام للبشرية جمعاء، لتستنير بنهجه، وتستضيء بنور علمه.

فهو الميدان الواسع والرحب الذي إجتمعت فيه الفضائل، والتقت عنده آراء المفكرين، واستقت من معينه عقول المثقفين والواعين، وما ذلك إلاّ لأنه المظهر الحقيقي لرسالة الإسلام الصافي الأصيل الذي أسقط الجاهلية العمياء واستبدلها بحضارة أشرقت على العالم كله بالفيض والعطاء، فانتجت علماء ومفكّرين وفلاسفة وحكماء وعظماء كانوا نتاجاً واضحاً للبذرة التي غرسها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الدنيا.

ولا يخفى على أحد موقع الإمام علي عليه السلام بين هؤلاء كلهم، فهو صنيع الوحي وربيب النبوّة.

وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظَنُّكَ بالتربية والتثقيف الدهر الطويل التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام بقوله:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمّني إلى صدره ويكنفني فراشه... ولقد كنت أتّبعه إتّباع الفصيل أثَرَ أمّهِ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوّة....»[1].

وكان للكثيرين شرف الحديث عن الإمام علي عليه السلام فألّفوا فيه الكتب، وصاغوا فيه الكثير من الشعر، ومع هذا يبقى أرفع وأسمى مما

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٠.

قالوا وألفوا، وكما يقول شارح النهج إبن أبي الحديد المعتزلي:

«فأمّا فضائله عليه السلام، فإنها قد بلغت من العِظَم والجلالة، والإنتشار والإشتهار مبلغاً يسمُجُ معه التعرّض لذكرها، والتصدّي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: (رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضَوْء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر؛ فأيقنت أنّي حيث إنتهى بي القول منسوب إلى العجْز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك).».

ورغم سعي الأيادي الحاقدة والغادرة لإخفاء معالم شخصيته، وتشويه قيمه وفضائله، بقي الإمام علي عليه السلام منارة وشعلة لكل رجال التاريخ الشرفاء والأحرار.

فلقد وجد الفلاسفة والعرفاء والأدباء والمصلحون والفقهاء ورجال الحكم والسياسة وكل الذين تحدّثوا وتغنّوا في عالم القيم والفضيلة والعلم، وجدوا أسوتهم متبلورة في وجود علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن هنا إعترف بسموّ فكرِهِ كلّ من المخالف والمؤالف، والغريب والقريب، والمؤمن والملحد.

ولصعوبة الوقوف على شخصية الإمام وتحليلها ودرسها، لما تختزنه هذه الشخصية من العمق والبُعد والذوبان في الإسلام، ولقصور الأقلام والأفكار البشرية عن بلوغ حقيقته عليه السلام.

لأجل هذا أحببت أن أخوض غمار جانب من جوانب شخصية الامام علي عليه السلام التي ظهر له فيها ـ كما في غيرها ـ الكثير من

المعجزات والكرامات جعلته متميزاً عن جميع المخلوقات في سحر البيان، وأدب اللسان. فكان الإبحار في سفينته العظيمة: **نهج البلاغة**، وكانت هذه «السلسلة من البحوث الموضوعية في نهج البلاغة» خطوة على الطريق الطويل، وذلك بقصد الوصول إلى شاطىء الأمان، والوقوف عند هذه الآثار الجليلة التي إستودعها الشريف الرضي (رحمه الله) في نهج بلاغة علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تكمن فيها عصارة الفكر البشري والإنساني نظراً لما إحتوته من أسرار علي عليه السلام، وجواهره الثمينة.

وها هو الفكر البشري يرقى يوماً بعد يوم، وعاماً بعد عام، وعصراً بعد عصر، ويبقى نهج البلاغة شمساً ساطعة، ونوراً مبيناً، وطوداً شامخاً، يغذّي عقول البشر، ويعطيها من القداسة أجمل الحِكَم، وأنبل التعابير لتظهر بحلّتها التي تفيض طهارة في الفكر، وعدلاً في الحكم، وجمالاً في الروح، وروعةً في الأدب، وسحراً في البيان...

وأخيراً يبقى النهج كبيراً، ونبقى نحن الصغار، ويستمر النهج في العطاء، ونستمر نحن في التزود من معينه الذي لا ينضب.

وما هذه الباقة من الموضوعات إلا محاولة جادت بها قلم طالب أراد الوصول إلى حقيقة النهج علّ ذلك يُقرِّبه من ساحة الطهر التي أراد لنا علي بن أبي طالب عليه السلام أن نسكنها ونتزوّد منها.

خليل عبد الأمير رزق

ايران ـ قم المقدّسة

شعبان ١٤١٣ هـ. ق

الفصل الأول

الإسلام وبناء المجتمع

- تمهيد
- الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام
- بناء المجتمع الإسلامي الأول
- الإمام علي عليه السلام والمجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام وبناء المجتمع

تمهيد:

أولى الإسلام قضية العلاقات الاجتماعية بين أفراد البشر الرعاية التامة، وأوجد نظاماً اجتماعياً يمكن للبشرية من خلال إتبّاعه أن تصِل إلى درجةٍ عالية من الرقي والحضارة والسمو على المستوى الاجتماعي والتربوي.

فمن الضرورات الملّحة والأكيدة للحياة الإنسانية والمجتمعات البشرية وجود نظام يحكم العلاقات الاجتماعية فيما بينها لتستقيم أمورها وتستقرّ أحوالها، ولعلّ هذا ما يميّز الإنسان عن الحيوان الذي لا يملك إلاّ الغرائز التي يسير عليها من الإحساس بالجوع والعطش وقضايا الجنس وما شابه ذلك.

وكان من لطف الله تعالى ورحمته وفيضه على عباده أن بعث إليهم أنبياءه العظام، لإصلاح شؤونهم، وتدبير أمورهم، وإخراجهم

من ظلمات الجهل إلى واحات المعرفة والنور، فأقاموا لهم المناهج السليمة، لتنظيم حياتهم، وأناروا لهم الطريق، بعدما كانوا يتلبدّون في متاهات سحيقة مظلمة في مجاهل هذه الحياة.

والإسلام من هذه الناحية وكما في جميع القضايا المهمّة شرّع أنظمة وقوانين من كل الجوانب سواء من ناحية النظام الذي يجب أن يحكم علاقات الناس مع خالقهم ومع بعضهم البعض، أو من ناحية الحقّ العام للمجتمع وأفراده على كل فرد، أو حق الإنسان على نفسه أو على زوجته وعياله وأرحامه وغيرها من القضايا. واعتنى الإسلام إعتناءً بالغاً بالروابط الاجتماعية التي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً نموذجياً تحكمه مبادىء المحبّة والوئام والتآلف..

قال الله تعالى:

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتّقوا الله﴾[1] فالإسلام دين كامل وشامل لكل جوانب الحياة، فهو ليس ديناً عبادياً فقط، أو ديناً أخلاقياً، واجتماعياً، أو سياسياً فحسب بل هو دين ونظام كامل وشامل لكل جوانب الحياة:

«فكما أن الإسلام اعتنى بالجانب الروحي في الحياة الإنسانية

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

كذلك اعتنى بالجانب المادي بنفس المستوى انطلاقاً من أهدافه السامية والعالية.

وإذا رجعنا إلى المبادىء الإسلامية وجدنا أنّ الإسلام قد أولى كلتا الناحيتين إهتمامه، فهو لا يحدِّد للإنسان الوظائف المتعلّقة بما وراء الطبيعة فحسب وإنّما يأخذ على عاتقه أيضاً تنظيم الصلات بين الفرد والمجتمع. ويوضِّح العلاقات الاجتماعية من أبسطها إلى أشدِّها تعقيداً فيضع الحلول لما يعتورها من مشكلات وذلك لأن الاهتمام بهذين الاتجاهين هو الأساس المتين للحياة العامة»[١].

ووضع الإسلام أرفع الآراء بالنسبة إلى التعاليم الاجتماعية والتربوية حيث جاء في الكتاب العزيز:

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبيِّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[٢].

وقضى بمفاهيمه وقِيَمِه التي جاء بها على الروح القبلية والجاهلية التي كانت تستولي على نفوس الناس في ذاك الوقت.

الحالة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام:

إنَّ من يقرأ التاريخ يرى بوضوح إلى أيّ حدٍّ كانت الحالة

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: الشيخ شمس الدين ص ٢٨.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

الاجتماعية مترديَّة في العصر الجاهلي، حيث إن مواصفات هذا العصر كانت تتميَّز بحالات السلب والنهب والإغارة وانعدام الروابط الاجتماعية وتدّني الحالة الأخلاقية والروحية لدى الناس، والتعصَّب القبلي الأعمى وغير ذلك من مميزات الإنسان العربي في الجاهلية.

فإنّ القبيلة إذا لم تجد من تُغِيرُ عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، وحتى على أبناء عمّها.

ولعل أفضل تعبيرٍ عن هذه الحالة الإجتماعية القاسية التي كانت تهيمن على الأمة، وعن ذلك الضياع الذي يسيطر عليها هو ما ذكره جعفر بن أبي طالب في حديثه مع ملك الحبشة، حينما ذهب عمرو بن العاص ليخدعه عنهم حيث قال:

«كنا قوماً أهل جاهلية، نَعبُدُ الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيءُ الجوار، ويأكل القويّ مِنّا الضعيف.

فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً مِنّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله، لنوحِّدَهُ ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسنِ الجِوار، والكَّف عن المحارِم والدِماء، ونهانا عن الفواحش، وقولِ الزور، وأكل مالِ

اليتيم، وقذف المِحصنة...»[١].

ووصف المغيرة بن شعبة نفس هذه الحالة ليزدجر حيث قال:

«وأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوء حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعِلان، و الحيّات، ونرى ذلك طعاماً، أما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، وأشعار الغنم، ديننا أن يقتُلَ بعضنا بعضاً، وأن يبغي بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليَدْفُن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه»[٢].

وقد عبَّر أهل المدينة على لسان أسعد بن زرارة عن أملهم في أن يحلّ النبي ﷺ بدعوته تلك مشاكلهم المستعصية حيث يذكر المؤرخون أنّ الأوس والخزرج ما كانوا يضعون السلاح في ليلٍ ونهار، فمن الطبيعي أن يشتاقوا إلى الخروج من وضعٍ كهذا لأن الإنسان يعلم بفطرته أن هناك نعمتان مجهولتان هما: الصحة والأمان.

فبهذه الكلمات وبالأخص كلمات جعفر بن أبي طالب يظهر

---

(١) راجع شرح النهج ج ٦ ص ٣٧٠. والصحيح في السيرة: للسيد جعفر مرتضى ج ١ ص ١٧٤.

(٢) راجع الصحيح من السيرة ج ١ ص ٤٨ نقلاً عن البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٢ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٨.

لنا مقدار الخدمة الإنسانية التي قدَّمها الإسلام لهؤلاء الناس الذين انتقلوا من حياةٍ تسودها شريعة الغابِ إلى ظلِّ أقدس التعاليم وأشرف المُثُلِ.

بناء المجتمع الإسلامي الأول:

سعى النبي الأكرم محمد ﷺ فور وصوله إلى المدينة المنوَّرة إلى وضع الحجر الأساس لبناء أول مجتمع إسلامي نموذجي يقوم على أساس مفاهيم القرآن والسنة النبوية اللذان ينظران إلى أفراد المجتمع كأفرادٍ تلتقي مع بعضها البعض ليس بالأجسام فقط، بل تجتمع على أساس المودَّة والمحبَّة والعمل لوجه الله، ولخير الإنسانية، وقال النبي ﷺ:

«ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفه كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[١].

وقال ﷺ:

«لا يؤمِنُ أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٤٠.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج ١ ص ٥٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٦ وغوالي اللئالي ج ٢ ص ٢٤٢. =

وقام النبي ﷺ ببعض الأعمال التأسيسية التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً ببناء المجتمع، وبناء الروح الإسلامية السامية، وببناء الدولة العادلة، وهذه الأعمال لا تنحصر بعددٍ معين لأنها تمتدّ على طول المرحلة الزمنية التي عاشها النبي بعد الهجرة، ولكن نحن نشير إلى بعضٍ من هذه الإنجازات التي وفّقنا لإستكشافها من سيرة النبي ﷺ وأبرزها كان ما يلي:

أ ـ المؤاخاة:

فقد ذكرت كتب التاريخ بأن النبي ﷺ آخى بين المسلمين وذلك كتمهيدٍ للهجرة حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب التي تحتاج إلى التعاون والتعاضد بأعلى مراتبه، فكانت عملية المؤاخاة التي أُريد بها السموّ بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحي وجَعْلِها علاقة إلهية تصِل إلى درجة الأخوة. وليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية وإنسجاماً وبعيداً عن النوازع النفسية التي ربما توحي للأخوين المتعاونين بأمورٍ من شأنها أن تعقّد العلاقات بينهما نفسياً على أقل تقدير.

فآخى النبي بين المهاجرين على الحق والمساواة. فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين الزبير وابن مسعود و... وبين علي عليه السلام ونفسه ﷺ. وقال له: أما ترضى

أن أكون أخاك؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت، فقال؛ فأنت أخي في الدنيا والآخرة[١].

وهكذا أيضاً بعد عِدّة أشهر من مقدمه ﷺ إلى المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وآخى بينهم على الحق والمساواة (وقيل على التوارث أيضاً).

ومما لا شك فيه بأنّ لهذا التآخي بين المهاجرين والأنصار مغزاه الدقيق الذي يدل على بُعدِ نَظرِ النبي ﷺ وعمقِ تفكيره، فالمهاجرون قد نزلوا ضيوفاً على قومٍ لا يرتبطون بهم بأي رابطة من الروابط التي كانت تَشُدُّ العرب بعضهم إلى بعض هذا بالإضافة إلى أن الوافدين إلى المدينة قد تركوا كل شيء ورائهم في مكة وأكثرهم كانوا لا يملكون قوت يومهم. فتركت تلك المؤاخاة إحساساً في نفوس الأنصار بالمسؤولية تجاه إخوانهم الوافدين، فآثروهم على نفوسهم ووفَّروا لهم وسائل العَملِ المنتج، وأصبح الكثير منهم في بضع سنوات معدودات في مصَّاف غيرهم من سكان المدينة الأثرياء هذه الروح العالية التي امتلكها الأنصار في ذاك الوقت حيث لم تكن الأخوّة مجرَّد إبراز للعواطف والأحاسيس بل كانت أخوَّة مسؤولة

(١) راجع الصحيح من السيرة ـ السيد مرتضى ج ٢ص ٢٢٨ نقلاً عن السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية: لدحلان ج ١ ص ١٠٥ ـ وراجع أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٧.

ومنتجة وترتبت عليها آثار عملية بالفعل، كالمقاسمة في الأموال وغيرها، ولإبراز هذا الجانب عند الأنصار الذين بذلوا تضحية كبيرة في هذه الأخوة باعتبار أن البذل كان من طرفهم يقول أمير المؤمنين عليه السلام مادحاً الأنصار:

«هم والله رَبَّوا الإسلام كما يُرَبّى الغِلْوُ[١] مع غنائهم (أي مع استغنائهم) بأيديهم السِّبَاطِ وألسِنَتِهُم السِّلاط»[٢].

ب ـ إلغاء الفوارق الاجتماعية والطبقية:

تحدّثنا في البحث السابق[٣] عن بعض هذه الإمتيازات التي ألغاها الإسلام الذي فتح قلوب الناس على بعضها، وصار الغني والفقير والأسود والأبيض على حدٍّ سواء.

وعندما بزغ فجر الإسلام وجد جذور الرِّقِ ما تزال ثابتة وعميقة، فالدولة الرومانية كان يسودها آنذاك خليط من نظام الرِّق ونظام الإقطاع. فكانت الرومان تعتقد ـ فلسفياً ـ بأن العنصر الأبيض غير العنصر الأسود لحماً ودماً وخلِقةً. فالدم الذي يجري في عروق الإنسان الأبيض يختلف عن الذي يجري في عروق الأسود. فهما

(١) الغِلْوُ: هو المهر إذا فطم أو بلغ السنة.

(٢) نهج البلاغة: ح ٤٦٥.

(٣) المقصود به: بحث العدالة الاجتماعية في نهج البلاغة.

من أصلين متباينين، وقد خُلِق الأسود لكي يَخدُمَ الأبيض. فالإنسان الكريم هو الأبيض وأما الأسود فهو مخلوق لخدمَةِ الأبيض.

وهذه هي مجمل نظرة الأمم السابقة ـ أمثال الرومان والفرس واليونان وغيرهم ـ إلى الجنس الأسود إطلاقاً، ولذلك كان النخَّاسون يُغيرون على المناطق الإفريقية لصيد الإنسان الأسود زرافات، يحملونهم في السفن ويأتون بهم إلى الأسواق فيبيعونهم كما تباع الأغنام والمواشي، بل وبصورةٍ أفجع.

وأما المساوىء المترتبة على هذا النوع من الفوارق بين الناس هو إلغاء المبادىء والمُثُل والقيم حيث يجعل الإنسان الأسود إنساناً منعزلاً عن مجتمع الإنسان الأبيض وبهذا تنعدم كل الروابط والعلاقات الاجتماعية بينهما وما شابه ذلك.

إلى أن جاء الإسلام ليجعل حدَّاً لتلك المظالم، ونهايةً للعبث والفساد، وليوقظ العقل البشري الذي أخذه السُباتُ العميق، ولينير درب الحياة أمام الإنسان من جديد. فينفتح الإنسان الأبيض بعقله وقلبه على الإنسان الأسود وهكذا العكس. ومن خلال هذا يمكن أن يصبح المجتمع مجتمعاً متماسكاً ومترابطاً.

ومن مواقف النبي الأكرم ﷺ التي جسَّدت هذه النظريات عملاً وواقعاً قصة تزويج ابنة عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد،

وتسليمه أسامة بن زيد قيادة جيش المسلمين الذاهب لمحاربة الروم وفيه كبار الصحابة. بالإضافة إلى أن بلال الحبشي كان داعي الدعاة إلى الإسلام.

وهكذا عندما جعل سلمان بمنزلة المستشار الحربي له، وقال فيه: سلمان مِنَّا أهل البيت.

وعند المؤاخاة آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي ذر. واشترط على أبي ذر بأن لا يعصي سلمان[١] على الرغم من الفرقِ بينهما من الإنتساب إلى العربية والعجمية.

وهذه السياسة بعينها انتهجها أمير المؤمنين عليه السلام حينما تولّى الخلافة. حيث وجد المجتمع غارقاً في وحول التفرقة وعدم الإلفة بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة. فكان يدعو ولاته في جميع الأمصار إلى أن يُحسِنوا معاملة الناس من دون تمييز أحدٍ على آخر.

ففي كلام له في عهده إلى مالك الأشتر يقول (عليه السلام):

«وأشعر قلبك الرحمة للرعيَّة، والمحبَّة لهم، واللُّطف بِهم، ولا تكُونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً، تغتنم أكلَهُمْ، فإنهم صِنفانِ، إما أخ لك في الدِّين أو نظيرٌ لك في الخَلْقِ»[٢].

---

(١) راجع روضة الكافي: للكليني ص ١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٥٣.

بهذه الكلمات البليغة والمعبِّرة أوضح الإمام علي عليه السلام أبعاد الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لتكون ثورة تحرّر الفكر البشري من خرافات الجاهلية ومآسيها وقوانينها، وتوجِّه الناس نحو طريق الخير والسعادة وبناء الذات والمجتمع المثالي ليكونوا خير أمَّةٍ أُخرِجت للناس، وليكون المؤمنون أخوة، وكالجسد الواحد الذي كلما اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى لا كما علمَّتهم الجاهلية بأن يقتل الإنسان أخاه الإنسان، أو يعتدي عليه وينهب أمواله.

ولتكون ثورةً تحرِّر روح الإنسان من المعتقدات الوثنية التي أنزلت البشرية إلى أدنى مستوى خُلُقي، فماتت معها كل القَيم والمبادىء، ولم يبق قيمةً لإنسانية الإنسان فاستطاع الإسلام بتعاليمه أن يُنقِذ هذه الروح من الهبوط، ويرفعها إلى الآفاق العليا ليتوَّجه الإنسان إلى الخالِق المعبود الذي كرَّم الإنسان واجتباه من بين خلقِهِ.

ومن هنا انطلق الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام ليغرسا في نفوس المسلمين حُبَّ التآخي والتعايش ونبذ القوانين الجاهلية التي كانت تتحكَّم في علاقات الناس مع بعضهم البعض بأبشع صورها، حيث كانت عبادة الأصنام، وقطيعة

الأرحام، وتعدّي القوي على الضعيف.

الإمام علي عليه السلام والمجتمع:

يتكوّن المجتمع البشري من مجموعة أفرادٍ تربطهم أنظمة وتقاليد وآداب وقوانين معيّنة[١].

ويشكّل هؤلاء الأفراد سلسلة مترابطة الأجزاء لا تستغني فيها حلقة عن أخرى، وتسود بينهم مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأخلاق والطبائع توحّدهم وتجمعهم على أساس قوانين وحقوق وواجبات، ولا تفرّقهم الفتن والأهواء.

هذه الأنظمة والقوانين تتكوّن من خلال الاحتياجات الاجتماعية المشتركة والعلاقات الإنسانية التي تربط بين أفراد المجتمع وتجعل حياتهم مشتركة إلى حدٍّ كبير بحيث يمكن وصف هؤلاء الأفراد بالمسافرين الذين يمتطون واسطة نقلٍ واحدة ويتجّهون نحو هدفٍ واحد ويشتركون معاً في بلوغ الهدف المنشود كما يشتركون في الفشل الذي قد يصيبهم في طريق تحديد ذلك الهدف.

ويرى الإمام علي عليه السلام أنّ من أقدس أهداف الإسلام وأسماها إيجاد هذه الروابط والعلاقات الاجتماعية، وبناء المجتمع البشري الصالح الذي يتحلّى فيه الأفراد بروح الجماعة، والتخلي عن

(١) المجتمع والتاريخ: الفيلسوف الإسلامي الشهيد مطهري ص ١٢.

الذات وذوبانها في المجتمع.

ورؤية الإمام علي عليه السلام تتجلّى بوضوح في حديثه عن أسباب بعثة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغايتها الاجتماعية حيث يقول:

«بعثه والناس ضلال في حيرةٍ، وحاطبون في فتنةٍ، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر وبلاءٍ من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النَّصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة»[1].

وفي وصفه لحالة العرب الجاهلية وبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرِّ دين، وفي شرّ دار، مُنيخون بين حجارةٍ خُشنٍ، وحيّاتٍ صُمٍّ، تشربون الكَدِر، وتأكلون الجَشِبَ، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحاكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبةٌ...»[2].

وهكذا استطاعت هذه البعثة النبوية والرسالة السماوية أن تغيِّر

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٦.

مجرى التاريخ، وتُحدِثُ التحوّلات الجذرية في كيانٍ بشري ممزّق ومفرّق الأهواء، مضطرب الأحوال، تتحكّم فيه أقسى وأصعب الأحكام كما يصفه الإمام علي عليه السلام:

«فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة والكثرة متفرِّقة، في بلاءٍ أزلٍ وأطباق جهلٍ، من بنات مؤودة، وأصنامٍ معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة..»(١).

وتحوّل هذا المجتمع إلى أسمى وأرقى مجتمع تتوفّر فيه عناصر التقوى والإيمان بالله تعالى وتنتشر فيه كلمة التوحيد المُشرِقة التي أضاءت سماء الكون ليهتدي بها الحائر، ويسترشد بها الضالّ، وتملأ قلوب العارفين إيماناً ويقيناً.

النظام الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام:

إن الدراسة الواعية والدقيقة لكل تفاصيل الحياة التي عاشها الإمام علي عليه السلام، ولكل ما ورد من كلامه وخطبه في نهج البلاغة، تُظهر لنا كيف حدَّد الإمام عليه السلام معالم النظام الاجتماعي الإسلامي بأدّقِ معانيه وتفاصيله والذي على أساسه تتحدّد الروابط والعلاقات التي يجب أن تحكم علاقات البشر مع بعضهم البعض، حيث كانت أعماله وأقواله مثالاً رائعاً يُحتذى به في جميع الجوانب،

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٠.

وبالأخصّ من جهة المواصفات التي تميَّزَ بها الإمام في بَثِّ روح الإخاء والمحبة بين المسلمين، وحرصه على وحدة الصف والكلمة، ويكفي الإمام فخراً أن القرآن مدحه بهذه الصفة حيث يقول الله تبارك وتعالى كتابه الكريم:

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة﴾(١) وقوله تعالى.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وِداً﴾(٢).

وامتاز الإمام علي عليه السلام بالحلم والصفح، بل كان كما قيل فيه: أحلم الناس عن ذَنْب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر هذا يوم الجمل؛ حيث ظِفر بمروان بن الحكم ـ وكان أعدى الناس له، وأشدَّهم بغضاً ـ فصفح عنه.

وكان عبدالله بن الزبير يشتِمُهُ على رؤوس الأشهاد حيث خطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوَغْد اللئيم علي بن أبي طالب، وكان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى

(١) راجع تفسير الطبري ج ٣ ص ١٧١ ـ والدرّ المنثور للسيوطي والصواعق المُحرِقة ص ٩٦.

(٢) راجع الكشاف للزمخشري، والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا. . .﴾ وابن حجر في صواعقه ص ١٠٢.

شَبَّ عبدالله، فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال: إذهب فلا أرَينَّك، ولم يزده على ذلك. وظفِر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة ـ وكان له عدوّاً ـ فأعرض عنه ولم يقلْ له شيئاً.

وكذلك عندما ظفِر بعائشة أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس.

وحاربه أهل البصرة، وضَرَبُوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلمّا ظفِر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: **ألا لا يُتْبَعُ مُولٍّ، ولا يُجهَزُ على جَريحٍ، ولا يُقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيَّز إلى عسكر الإمام فهو آمن.**

ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبَى ذراريَّهم، ولا غَنِم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو حيث تقيَّد بسنّة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فإنه عفا والأخطاء لم تبرُر، والإساءة لم تُنْسَ.

نعم هكذا كان الإمام وكما وصفه صعصعة بن صُوحان وغيره من شيعته وأصحابه.

«كان فينا كأحدِنا، لِين جانب، وشدّة تواضع، وسهولة قياد،

وكنّا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه»[١] .

هذه الوقائع والأحداث وغيرها من الوقائع تبيِّن لنا كيف أراد الإمام علي عليه السلام **أن يبيِّن للناس معنى الإسلام، وأنه دين الصفح والحلم ودين الأخلاق، ودين الذين لا يفكروا بالانتقام ممّن ظلمهم بل هو الدين الذي يُظهِرُ الإنسان فيه مدى حبّه للناس ويسعى فيه ليرتبط مع الآخرين بروابط الإنسانية القائمة على أسس الخير والمحبَّة.**

ودعا الناس إلى نَبْذِ التعاليم الجاهلية والإلتجاء إلى التعاليم الإسلامية التي أنقذت الإنسان من الظلم والجهل والضلال.

ففي كلام له عليه السلام يقول:

«ولا تكونوا كجُفْاةِ الجاهليّة، لا في الدين يتفقَّهون، ولا عن الله يعقلون، كقيضِ بيضٍ في أداحٍ[٢]**، يكون كَسْرُهَا وِزراً، ويُخرِجُ حِضانُها شرّاً»**[٣] .

وقال عليه السلام :

---

(١) راجع شرح النهج: ابن أبي الحديد ج ص١ ٢٢ ـ ٢٥.

(٢) **القيض**: القشرة اليابسة للبيضة، والأداح: جمع أُدحيّ، وهو المكان الذي تدحوه النعّمة برجلها لتبيض فيه، وبيض النِعام، إذا مرَّ به شخص ظنَّه بيض القطا أو غيره، فلا يكسِره، فإذا فقَّس أنتج نِتاجاً كله شر.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٤.

«إن الله بعث محمّداً ﷺ وليس أحدٌ من العرب يقرأ كِتاباً، ولا يدَّعي نُبوَّةً، فساق، الناس حتى بوّأهم مَحلتهم، وبلَّغهم منجاتَهُمْ، فاستقامت قَنَاتُهُمْ، واطمأنَّت صِفاتهم»(١).

وكان للإمام علي ﷺ الدور الكبير في وضع المناهج الربوية الحية لتنظيم سلوك الإنسان، وتطوير حياته، وبناء حضارته، على أسسٍ تتوَّفر فيها جميع عوامِلُ الإستقرار النفسي.

ونظر الإمام عليه السلام بدقّةٍ وبعمقٍ وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالِقه، ونفسه، وأسرته، ومجتمعه، وحكومته وغير ذلك، فوضع له نظاماً خاصاً لهذه الحقوق والواجبات، وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها ليتمَّ بذلك إنشاءُ مجتمعٍ إسلامي تسوده العدالة الاجتماعية، والعلاقات الوثيقة بين أبنائه والتي تقوم على أساس الثقة والمحبَّة، وغيرها من وسائل التقدم في الميدان الاجتماعي وتنظيم علاقات الناس في كل المجالات.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن النظام الذي وضعه الإمام علي عليه السلام يشكِّل الأساس السليم لكل العلاقات في المجتمع الإسلامي والذي يدور ضِمنَ هذه المحاور التالية وهي:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٢.

أولاً: علاقة الإنسان بالله تعالى.

ثانياً: علاقة الإنسان مع نفسه.

ثالثاً: العلاقات الاجتماعية الخاصة.

رابعاً: العلاقات الاجتماعية العامة.

خامساً: العلاقات الاجتماعية مع الجيران واليتامى والمساكين.

الفصل الثاني

النظام الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام

- علاقة الإنسان بالله تعالى.
- علاقة الإنسان مع نفسه.
- العلاقات الاجتماعية الخاصة.
- العلاقات الاجتماعية العامة.
- العلاقات الاجتماعية مع الجيران واليتامى والمساكين.

النظام الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام

أولاً: علاقة الإنسان بالله تعالى:

إنَّ لتنظيم علاقة الإنسان المخلوق مع خالقه تأثيراً كبيراً في مجال تزكية النفس الإنسانية، وتصفيتها، وتنقيتها، وتخليصها من كل الشوائب والأمراض المادية والمعنوية التي يمكن أن تصيبها.

ومن هنا فقد أشار الإمام أمير المؤمنين وسيِّد المتقِّين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جملةٍ من حقوق الله تعالى على الإنسان التي من خلالها تتحدد وظيفة الإنسان تجاه ربِّه وخالقه، وكيفية سلوك الإنسان في علاقته مع الله سبحانه وتعالى والتي يتمّ من خلالها بناء العلاقة السليمة بين العبد وخالقه، ولا مجال للقول بأنه لا علاقة لهذه المسألة ببحثنا هذا ذلك أنه في عقيدتنا أن الإرتباط بالله والخضوع لأوامره ونواهيه يصبح مرآةً للعلاقة بين الإنسان وأفراد المجتمع، وهذا هو السبب الذي من أجله تعرضنا لهذه المسألة وأما الضوابط التي أشار إليها الإمام فهي:

أ ـ التسليم والعبودية لله تعالى:

نصَّ القرآن الكريم على أن الغاية الأساسية من وجود الإنسان وحياته في هذا العالم هي عبادة الله تعالى حيث يقول سبحانه: ﴿**وما خلقت الإنس والجِنّ إلاّ ليعبدون**﴾(١).

ولا تتمّ هذه العبادة إلاّ حينما يؤمن الإنسان بالعبودية لله والتسليم لمشيئته والخضوع لأمره تعالى مطلقاً.

ونظرة سريعة إلى القرآن الكريم نرى أنه يجعل غاية كل الأديان في دعوتها هي إيجاد ذلك النموذج من الإنسان الذي يكون (عبداً لله) دون سواه وعندها يبلغ أعلى درجةٍ من القدسية والرفعة ويستحق لقب (عبدالله)، وهي درجة لم يبلغها إلاّ الأنبياء والأوصياء والأولياء.

ولهذا نجد أن أرفع لقب كان يطلقه الله سبحانه وتعالى على كل نبيٍ في القرآن هو أن يقول عنه بأنه (عبدالله).

يقول سبحانه عن عيسى عليه السلام:

﴿**قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً**﴾(٢).

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام:

---

(١) الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) مريم آية ٣٠.

﴿ووهبنا لداود سليمان، نعم العبد إنَّه أوّاب﴾(١).

وعن النبي نوح عليه السلام :

﴿ذُرِّية من حملنا مع نوحٍ، إنه كان عَبْداً شكوراً﴾(٢).

وقال تعالى عن الخضر عليه السلام :

﴿فَوَجَدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا وعَلَّمناه من لَدُنّا علماً﴾(٣).

وقال تعالى عن نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿إن كنتم آمنتُم بالله وما أنزلنا على عبدنا يَومَ الفُرقان﴾(٤).

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة إلى أن إرشاد الناس إلى عبادة الله تعالى كانت من أسمى وأقدس أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام حيث يقول عليه السلام :

«اصطفى سُبحانَهُ مِن ولدِهِ أنبياء أخذ على الوحي ميثاقُهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدَّل أكثرُ خلْقِهِ عهد الله إليهم فجهلُوا حَقَّهُ، واتّخذوا الأنداد معه، واجتالتهُم(٥) الشياطينُ عن معرفتِهِ،

---

(١) النمل آية ٣٠.

(٢) الإسراء آية ٣.

(٣) الكهف آية ٦٥.

(٤) الأنفال آية ٤١.

(٥) إجتالتهم: صرفتهم عن قصدهم.

واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رُسُلَهُ...»[١].

وقال عليه السلام، عن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

«فَبعَثَ الله مُحمَّداً عليه السلام بالحقِّ، ليُخرِجَ عبادَهُ من عِبَادَة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقُرآنٍ قد بَيَّنَهُ وأحكَمَهُ، لِيعلَمَ العبادُ ربَّهُمْ إذ جَهِلُوهُ، وَليُقرُّوا به بعد إذ جحدُوهُ، وَليُثبِتُوهُ بعد إذا أنكرَوُهُ»[٢].

وقال عليه السلام عند ذكر صفات المتقّين، بأن من صفاتهم الخشوع في العبادة.

«فَمِن عَلاَمَةِ أحْدهِمْ، أنَّك ترى له قُوَّةً في دينٍ... وَخُشُوعاً في عِبَادَةٍ...»[٣].

وسُئِلَ الإمام عليه السلام عن الخير ما هو فأجابهم بأنه عبادة الله:

«ليس الخَيْرُ أن يكْثُرَ مالُكَ وَوَلدُك، ولكِنَّ الخَيْرَ أن يكْثُر عِلمُكَ، وأن يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وأن تُبَاهِي الناس بِعبادةِ رَبِّكَ، فإن أحسنْتَ حَمِدْتَ الله، وإن أسأْتَ استغْفَرْتَ الله»[٤].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩١.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٩٤.

ثم جعل عليه السلام من أسباب عِزَّة الإنسان أنه يكون عبداً لله فقال:

«إلهي كَفَاني فخراً أن تكون لي رَبّاً، وكفاني عِزّاً أنْ أكونَ لَكَ عَبْداً، أنت كَمَا أريدُ فاجعلني كما تُريدُ».

ب: الإقبال على الله والإعتصام به وحده:

وذلك بأن يلجأ الإنسان في جميع أموره وقضاياه وحاجاته إلى الله وحده، ويستغني عن الناس لأنهم مخلوقات مثله، ومحتاجين ومفتقرين إلى الله، والله هو الغني الحميد.

قال الإمام عليه السلام يدعو أصحابه إلى الله:

«فاتَّقُوا الله عِبادَ الله، وفِرُّوا إلى الله من الله، وامضُوا في الَّذي نَهَجَهُ لكُم، وَقُومُوا بما عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَلِيٌّ ضامِنٌ لِفلْجِكُم[1] آجلاً، إن لم تُمنحُوهُ عاجلاً»[2].

وفي وصية له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام يقول:

«... وألْجِيءْ نَفْسَك في أُمُورِكَ كُلِّها إلى إلهِكَ، فإنَّكَ تُلجِئُها إلى كَهْفٍ حَرِيزٍ ومانعٍ عزيزٍ وأخلِصْ في المسألَةِ لِرَبِّكَ، فإنَّ

(١) فلجكم: أي فوزكم.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٤.

بيدِهِ العطاءَ والحِرْمانَ، وأكثِرِ الإستخارة»[١].

ج ـ خشية الله والخوف منه:

وهما عبارة عن تألّم النفس خشية من عقاب الله، من جرّاء عصيانه ومخالفته.

وهذا من خصائص الأولياء، وسمات المتقين، والباعث على الاستقامة والصلاح، والرادع القوي عن الشرور والآثام.

قال عليه السلام في إرشاد الناس للخشية من الله تعالى:

«فاحذَرُوا مِن الله ما حَذَّرَكُمْ مِن نَفْسِهِ، واخشَوْهُ خشيَةً ليست بِتَعْذيرٍ»[٢].

وقال عليه السلام:

«مَعاشِرَ المُسلِمينَ: اسْتَشعِرُوا الخَشْيَةَ، وَتَجلْبَبُوا السَّكينَة»[٣].

وقال عليه السلام:

«... وإن إستَطَعْتُمْ أن يَشتَدَّ خَوفُكُم من الله، وأنْ يَحْسُنْ ظَنُّكُمْ به، فاجْمَعُوا بينَهُما. فإنَّ العَبْدَ إنما يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّه برِّبِهِ على قَدْرِ خوفِهِ مِن ربِّه، وإنَّ أحْسَنَ النَّاس ظَنّاً بالله أشَدُّهُم خَوْفاً لله»[٤].

---

(١) نهج البلاغة: الوصية ٣١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٦٤.

(٤) نهج البلاغة: من عهده عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رقم ٢٧.

وقال عليه السلام عن حقيقة الخوف والرجاء، وأنه لا بد أن ينعكس على عمل الإنسان وتصرفاته:

«يَدعَي بِزَعْمِه أنَّه يَرْجُو الله. كذَبَ وَالعَظيم! ما بَالُهُ لا يَتَبَيَّنُ رجاؤُهُ في عَمَلِه؟ فَكُلُّ من رجا عُرِفَ رَجاؤُهُ في عَمَلِه. وَكُلُّ رَجاءٍ ـ إلا رَجاءَالله تعالى ـ فإنَّهُ مَدخُولٌ (أي مغشوش). وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ـ إلا خَوْفَ الله ـ فإنَّهُ مَعْلُولٌ (الخوف المعلول هو ما لم يثبت في النفس والقلب). يَرجُو الله في الكبير ويَرْجُو العِبادَ في الصغير، فَيُعْطي العَبْدَ ما لا يُعْطِي الرَّبَّ! فما بَالُ الله جَلَّ ثَناؤه يُقَصِّرُ به عمَّا يُضَعُ به لِعبادِه؟ أتَخَافُ أن تَكُونَ في رجائِكَ له كاذِباً؟ أو تكون لا تراهُ لِلرَّجاء مَوْضِعاً؟ وكذَلِكَ إن هو خَافَ عَبْداً من عبيدِه، أعطاهُ مِن خوفِهِ ما لا يُعْطي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِن العبادِ نقداً، وخوفَهُ من خالِقِهِ ضِماراً ووَعْداً...»[1].

د: التواضع لله:

إذا علم الإنسان قدرة الله تعالى ومقدار عظمته، ومدى سلطانه، فمن الطبيعي أن ينحني أمام هذه القدرة والعظمة. ولهذا فإن الإمام علي عليه السلام يُلفِتُ انتباه الإنسان إلى ذلك فيقول:

«أيُّها الناس إنَّهُ من استَنْصَحَ الله وُفِّقَ، وَمَن إتَّخَذَ قولَهُ دليلاً

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٨.

هُديَ «لِلَّتي هي أقوم»، فإنَّ جَارَ الله آمنٌ، وعدُوَّهُ خائفٌ وإنه لا ينبغي لِمَن عَرَفَ عَظَمَةَ الله أن يَتعَظَّم، فإنَّ رِفْعَةَ الَّذين يَعْلَمونَ ما عَظَمَتُهُ أن يتواضعوا له، وسَلامَة الذين يعلمون ما قُدْرَتُهُ أن يَسْتَسْلِموا له...»[1].

ومن آثار تواضع الإنسان أمام الله أن الحاكم العادل يرأفُ برعيته فيما لو وسوس له الشيطان من جهة ملكه وسلطانه وتسَّلُطِهِ على رِقاب الناس، فمجرد أن يلتفت الإنسان إلى أن الله أعظم وأقوى وأقدر منه. فإنّ هذا يكون حافِزاً على أن يتواضع لله سبحانه وتعالى وبالتالي للرعية. ولهذا يقول عليه السلام: في كتابه إلى مالك الأشتر:

«وإذا أحْدَثَ لك ما أنت فيه مِن سُلْطانِكَ أُبَّهَةً أو مخيلَةً، فَانْظُرْ إلى عظَم مُلك الله فَوقَكَ، وَقُدْرتِهِ منك على ما لا تقدِرُ عليه من نَفْسِكَ...»[2].

هـ: طاعة الله ومعصية الشيطان:

تقوم علاقة الإنسان بالله تعالى على أساس طاعة المخلوق لخالقه مطلقاً من دون قيدٍ أو شرط، لأنّه عزَّ شأنه مبدأ كل خير

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٥٣.

ورحمة ولا يريد لهذا الإنسان إلاّ ما فيه نفعه في الحياة الدنيا وكذا في الآخرة. فالطاعة في مصلحة الإنسان لأن الله تعالى غنيٌّ عن عباده..

﴿إن تكفُرُوا فإنَّ الله غَنيٌّ عنكم ولا يرضى بِعبَادِه الكُفر وإن تشكروا يرضاه لكم...﴾[١].

فإذا أراد الإنسان سلوك الطريق المستقيم مع خالقِهِ عزَّ وجل فعليه أن يؤدِّي حق الطاعة له، ولازم ذلك أن يرفض رغبات الشيطان وما يمليه للإنسان من وساوس وأوامر. وعن حقِّ الطاعة لله يقول الإمام عليه السلام:

«سارعوا إلى الطَّاعات، وسابقوا إلى فِعلِ الصالحاتِ، فإن قصَّرتُم فإيَّاكُم وأن تُقصِّروا عن أداءِ الفرائِض»[٢].

وقال عليه السلام:

«طوبى لِمَنْ وُفِّقَ بِطاعتِهِ وبَكى على خطيئته»[٣].

وقال عليه السلام:

«عليك بطاعة الله سبحانه فإنَّ طاعَةَ الله فاضِلةٌ على كُلِّ شيء»[٤].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودُرر الكلم: للآمدي: ص ١٨١ و ١٨٤.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وقال عليه السلام :

«ثابِروا على الطَّاعات، وسارعوا إلى فِعلِ الخيرات، وتجنَّبوا السيئَّات، وبادروا إلى فِعْلِ الحَسَناتِ وتجنَّبوا إرتكِابَ المحارِم»(١).

وفي النهي عن إتِّباع الشيطان يقول عليه السلام :

«وما كَلفَّك الشيطانُ عِلمَهُ، مما ليس في الكتاب عليك فَرْضُهُ، ولا في سُنَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأئمَّةِ الهُدى أثَرُهُ فَكِلْ عِلمَهُ إلى الله سُبحانَهُ. فإنَّ ذلك مُنتهى حقِّ الله عليك»(٢).

و ـ الدعاء:

إن أسمى وأرقى علاقة يبنيها الإنسان مع خالقه هي الدعاء والتضرُّع، حيث يقف الإنسان بين يدي ربه مخاطباً إيَّاه بلهجة العبد الخائف المطيع المعتصِم بالله وحده دون ما سواه.

وحول الدُّعاء يقول الإمام عليه السلام :

«واعلموا عباد الله أنَّهُ لم يَخلُقكُمْ عَبَثاً، ولم يُرسِلْكُمْ هَمَلاً، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعمِهِ عليكُم، وأحْصَى إحسَانَهُ إليكُم، فاستفتحوه(٣) **واستنجحُوهُ**(٤)**، واطلُبُوا إليه واستمنحُوهُ، فما قَطَعَكُمْ عنه حجاب،**

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨.

(٣) استفتحوه: أي إسألوه الفتح على أعدائكم.

(٤) استنجحوه، أي إسألوه النجاح في أعمالكم.

ولا أُدلقَ عنكُمْ دونَهُ بَابٌ»[١].

وقال عليه السلام:

الدعاء سلاح الأولياء» و «سِلاح المؤمن الدُّعاء» وقال «أعلمُ النَّاس بالله أكثرهُمْ لهُ مسألَةً».

بهذه المسائل اختصر الإمام علي عليه السلام علاقة الإنسان بخالقه، ولا ريب أن العابد لله، والمنحني أمام عظمته، والخاشع لقدرته، والرافض لكل أنواع المعاصي والرذائل التي نهى عنها سبحانه وتعالى، يُشكِّل في نظر الإمام علي عليه السلام وفي نظر الإسلام نموذجاً للإنسان الكامل والفرد الصالح الذي يريد من خلاله أن يُكوِّن مجتمعاً مثالياً يتشكّل من مثل هذا الفرد.

وهذا ما يميِّز النظرية الإسلامية عن غيرها من النظريات في رؤيتها لتكوين المجتمع الصالح. وذلك عبر شعور الإنسان بالرهبة والخوف من الله في كل حركة وفعل يقوم به.

وهذا الشعور هو الذي يُلزمه بالمحبّة والرأفة والمسؤولية تجاه أفراد المجتمع بأكمله.

وبذلك يتكوّن المجتمع الصالح والنموذجي الذي بدأ النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وضع أسسه في وقتٍ كانت قوانين الجاهلية

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٠.

العمياء هي التي تحكم مجتمع الجزيرة العربية فتغيّرت المعالم وتبدّلت الموازين وانتقل العرب من شر الجاهلية وبؤسها إلى نعمة الإسلام والسعادة التي حققّها للبشرية على إمتداد التاريخ.

ثانياً: علاقة الإنسان مع نفسه:

من الأمور المهمة التي خطَّط لها الإسلام ووضع لها برنامجاً تربوياً متكاملاً، ورسم لها خطّاً توجيهياً واسعاً هي حدود الإنسان في تعامله مع نفسه.

وقد يأتي سؤال هنا: وهو أنه لماذا نحتاج إلى هذا البرنامج التربوي لتنظيم علاقة الإنسان بنفسه؟ وما شأن ذلك وارتباطه بعلاقة الإنسان مع الآخرين؟ وهل أن الإنسان يمكن أن يعيش في صراع وحرب معها؟ وهل يمكِنُ أن يضرَّ الإنسان نفسه؟ أو يخون نفسه؟.

والجواب: إن كثيراً من الناس يعادون أنفسهم من حيث لا يعلمون، ويتصدَّون لمحاربة أنفسهم وخيانتها والمكر بها والكيد لها، ويخسرون أنفسهم، ويضرَّون بها، ويُهلِكون أنفسهم، من حيث لا يشعرون.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحالة في الناس إشارة واضحة فمن الناس من يظلِمْ نفسه:

﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابق

بالخيرات﴾[١].

«وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون»[٢].

ومن الناس من يبغي على نفسه:

﴿يا أيها الناس إنَّما بغيكم على أنفسكم﴾[٣].

ومن الناس من يخون نفسه:

﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم﴾[٤].

ومن الناس من يخسرون أنفسهم:

﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾[٥].

﴿ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾[٦].

فالقرآن الكريم أشار إلى كيفية علاقة الإنسان بنفسه حيث قد يظلمها وقد يبغي عليها وقد يخونها وقد يخسرها و... ولكن ما هي أسباب ذلك؟.

والجواب: أن الإنسان لم يتأمَّل في معرفة النفس، ولم يسعَ

---

(١) فاطر: الآية ٣٢.

(٢) آل عمران: الآية ١١٧.

(٣) يونس: الآية ٢٣.

(٤) البقرة: الآية ١٨٧.

(٥) الزمر: الآية ١٥.

(٦) الأعراف: الآية ٩.

لفهم مكنونها ومحتواها، وما هو الذي تحتاج إليه، لأن النفس تتخِّذ الشكل الذي على أساسه يتعامل الإنسان فيه معها. فمن يعمل الصالحات والخيرات ويضع للنفس قوانين مدروسة فلا شك أنها تُبنى وتنشأ على ذلك. وإلاّ فإنها سوف تسلك ظلمات ما بعدها ظلمات. وهذا بالتالي يؤدي إلى الخسران والهلاك.

والإمام علي عليه السلام إشار في كلماته إلى ما يفيد هذا المعنى ـ وهو ظلم الإنسان لنفسه وعدوانه عليها:

فقد ورد في نهج البلاغة عن الشريف الرضي أنه:

دخل الإمام عليه السلام على العلاء بن زيد الحارثي يعوده، وهو من أصحابه، فلمَّا رأى سِعَةَ داره، قال:

«ما كنت تصنع بسِعَةِ هذه الدار في الدنيا؟ أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، بلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تُقري فيها الضيف وتصل (فيها) منها الرحم..».

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد؟.

قال عليه السلام: وما لَهُ.

قال لبس العباءة وتخلَّى عن الدنيا.

قال عليه السلام: عليَّ به.

فلما جاء قال عليه السلام : يا عُدَيَّ نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله عز وجل أحلَّ لك الطيّبات وهو يكره أن تأخذها، أنت أهون على الله في ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك.

قال عليه السلام : ويحك إنّي لست كأنت، إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدِّروا أنفسهم بِضعَفَةِ الناس كيلا يتبيَّغ[١] بالفقير فقره»[٢].

ويطرح الإمام علي عليه السلام في كلماته هذ الصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان مع نفسه، وهذا الصدام الذي يحدث بينهما، ولا شك بأن هذه القضية من القضايا الحساسة والدقيقة والخطيرة على الكثيرين. وذلك لأن النفس التي لا يبنيها الإنسان بالشكل السليم تصبح من أكبر الأعداء له ومن أهم المسائل التي تشغله عن التفكير بالخير وتوردُه مورِد السوء حيث يقول عليه السلام :

«لا عَدُوَّ أعدى على المَرْءِ من نفسه»[٣].

«نفسُك أقرب أعداؤك إليك»[٤].

---

(١) تبيَّغ الدم بصاحبه: إذ هاج.

(٢) نهج البلاغة:

(٣) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٤.

(٤) نفس المصدر.

«نفسُك عَدُوُّ مُحارِبٌ وضيدٌ مواثِبٌ إن غَفَلْتَ عنها قتلتك»[١].

فهذا العدو الذي يكمُن في عمق نفس الإنسان هو الذي يفسد على الإنسان حياته ويحوِّلها إلى قطعةٍ من العذاب المتصِّل، ويهلكه ويفقده الإستقرار والراحة والطمأنينة والسعادة في حياته كما يعمل أيُّ عدوّ تجاه عدوّه.

ولكي يسلم الإنسان من هذا العذاب والعناء، يضع الإمام علي عليه السلام حلاً كاملاً لتنظيم حياة الإنسان وكيفية فرض سيطرته على هذا العدو الداخلي وكيفية تهذيب النفس، وتحديد نوعية العلاقة معها.

وكلمات الإمام عليه السلام تصرِّح وتشير إلى هذه القضية، وتحدِّد بعض النقاط التي يجب أن يسير عليها الإنسان للتغلب على هوى النفس ومشكلاتها، وحينئذٍ تتحقق سعادته ورفاهيته في الحياة وهي:

١ ـ مراقبة النفس ومحاسبتها:

وذلك بأن يقوم الإنسان بعملية مراقبة ومحاسبة للنفس في كل يوم عما عملته من الطاعات والمعاصي، والموازنة بينهما.

فإن رجحت كفّة الطاعات، شكر الله على توفيقه لها، وفوزه بشرف طاعته ورضاه.

---

(١) نفس المصدر.

وإن رجحت كفّة المعاصي أدّب المحاسب نفسه بالتقريع والتأنيب على إغفال الطاعة، والنزوع للآثام.

يقول عليه السلام:

«إجعل من نفسك على نفسك رقيباً واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً»(١).

«من حاسب نفسَهُ رَبِحَ، ومن غَفَلَ عنها خَسِرَ، ومن خاف أمِنَ، ومن اعتَبَرَ أبْصَرَ، ومن أبصَرَ فَهِمَ، ومن فَهِمَ عَلِمَ»(٢).

«فحاسب نفسك لنفسك، فإنَّ غيرها من الأنفُسِ لها حَسيبٌ غيرُك»(٣).

«عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبلِ أن تُحاسَبوا»(٤).

«ما أحقَّ الإنسان أن تكون له ساعةٌ لا يشغَلُهُ عنها شاغِلٌ يُحاسِبُ فيها نفسَهُ فينظُر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها»(٥).

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٥.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٨.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٩٠.

(٥) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٦.

«حاسبوا أنفسكم بأعمالها، طالبوها بأداء المفروض عليها، والأخذِ مِن فنائها لبقائها، وتزوَّدوا وتأهبوا قَبْلَ أن تُبعثوا»[١].

وقال عليه السلام عن أهل الذِكر:

«فلو مثَّلتَهُم لعقلِك في مَقاومِهِم[٢] المحمودة، ومجالسهم المشهودة، وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة أُمِروا بها فقصَّروا عنها، أو نُهُوا عنها فَفَرَّطوا فيها، وحَمَّلوا ثِقَلَ أوزارهم ظهورهم. . . .»[٣].

مجاهدة النفس:

في داخل كل واحد منّا، قوى متصارعة ومتضاربة، مكوّنة من العقل والغريزة، والنفس والإرادة! . . . وهي بهذا الصراع تتمكّن من بناء نفسها.

والذي يحدث داخل أعماق الإنسان هو أن يقف العقل والفطرة وجنودهما وهم يشكلّون جبهة الإنسانية بكل أبعادها وأعماقها، وفي المقابل، يقف الشيطان وقبيله، مع النفس وغرائزها، في صف واحد لتشكيل جبهة الحيوانية.

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٣٦.

(٢) مَقاوم ـ جمع مقام: مقاماتهم في خطاب والوعظ.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٢.

ثم يتفجر الصراع، حتى إذا تغلّبت إحدى الطائفتين على الأخرى، أخذت زمام الفرد، وساقته إلى حيث تشاء.

وهذا الصراع إنما يحدث من أجل أن يستكمل الواحد منّا رحلته في الحياة... وفي الحقيقة إنّ التكامل لا ينمو، إلاّ في ظل الصراع والمنافسة والتغلب على النفس الأمّارة بالسوء، وهذا ما نسمّيه بمجاهدة النفس.

قال عليه السلام في وصية له إلى شريح بن هانىء:

«اواعلم إنَّك إن لم تَردَع نفسك عن كثيرٍ ممَّا تُحِبُّ مخافة مكروهٍ، سمت بك الأهواء إلى كثيرٍ من الضَّرر، فكن لنفسِك مانِعاً رادِعاً، ولنزوتِك عند الحفيظة[١]، واقماً[٢] قامِعاً»[٣].

وقال عليه السلام عن صفات (المُتقّي):

«إن استصعَبت عليه نفسه فيما تكره، لم يُعطِها سُؤلَها فيما تحب... نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة»[٤].

وفي عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر يقول:

---

(١) الحفيظة: الغضب.

(٢) واقماً: قاهراً.

(٣) نهج البلاغة: الرسالة ٥٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

«.. وأمرَهُ أن يكسِرَ نَفسَهُ من الشّهوات، ويَزَعها عند الجَحَمات، فإن النفس أمّارة بالسوء، إلاّ ما رَحِم الله»[١].

«إن طاعة النفسِ ومُتابَعَة أهويتها أُسسُ كُلِّ مِحنةٍ ورأسُ كُلِّ غوايةٍ»[٢].

«إنَّك إن مَلَّكت نَفْسَكَ قِيادَك أفسَدْت مَعادَك واوردتك بَلاءً لا يَنْتَهي وشقاءً لا ينقضي»[٣].

«خَالِف نفسك تستقيم وخالِط العُلماء تَعْلَمْ»[٤].

٣ ـ تعويد النفس على الطاعة والعبادة:

النفس الانسانية أشبه بشيء بالطفل المولود حديثاً فإن شخصيته في المستقبل المنظور تتأثر بنوعية التربية التي يتلقاها والأدب الذي يتربى عليه، والأمور التي يتعوَّد عليها من أهله والمحيط الذي يعيش فيه، لذا فإن من الضروري ترويضه وتدريبه وتعويده على كل صفات الخير.

وهكذا النفس فإن تكوينها يتأثَّر ويتفاعل مع القضايا التي

---

(١) نهج البلاغة: والرسالة ١٥٣.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٣٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

يعوِّدها عليها صاحبها. فإن عوَّدها على طاعة الله كانت نفساً طيِّبة طاهرة، وإلاَّ كانت نفساً أمَّارة بالسوء.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«عباد الله، إنَّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربِّه، وإنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه؛ والمغبون مَن غَبَن نفسه، والمغبوط من سَلِمَ له دينُه»(١).

«فطُوبى لذي قلبٍ سليم، أطاع من يهديه، وتجنَّب من يرويه وأصاب سبيل السَّلامة ببصر مَن بَصَّره، وطاعة هادٍ أمره... فقد أُقيم على الطريق، وهُدي نهج السبيل»(٢).

«وخادع نفسك في العبادة، وارفُق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلا ما كان مكتوباً عليك في الفريضة، فإنّه لا بد من قضائها، وتعاهُدِها عند محلِّها»(٣).

٤ ـ ترويض النفس على التقوى وأعمال البرّ:

قال عليه السلام:

«أفضل الأعمال ما أكرهت نفْسَكَ عليه»(٤).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ٢١٤.

(٣) نهج البلاغة: الرسالة ٦٩.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢٤٩.

«وإنما هي نفسي أروضُها بالتقوى لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر، وتثبُتَ على جوانب المَزْلَق»[١].

«أسهِروا عيونكم، وأضمروا بطونكم، واستعملوا أقدامكم، وأنفِقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم، ولا تبخلوا بها عنها»[٢].

٥ ـ إستشعارها الخوف من الله تعالى:

قال عليه السلام:

«ولو تعلمون ما أعلم ممَّا طُويَ عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصَّعُدات تبكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خالِفَ عليها، ولَهَمَّتْ كلَّ امرىءٍ منكم لا يلتفت إلى غيرها ولكنَّكم نسيتم ما ذُكِّرتم، وأمِنْتُم ما حُذرِّتم، فتاه عنكم رأيكم وتشتَّت عليكم أمرُكم»[٣].

وينبغي للإنسان في هذه الدنيا أن يعلم بأن هناك أموراً كبعض الممارسات والصفات قد تحول بينه وبين تهذيب نفسه. فعليه إذن أن يكون حريصاً في اختراقِ الشهوات لعمله، وإماتت الدنيا لقلبه،

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٤٥.
(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٣.
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٦.

وإستعباد النفس له. فأفضَلُ طريقٍ للإنسان لأجل صلاح نفسه أن لا يتبِّع الهوى وطول الأمل.

«إنَّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان: أتِّباع الهوى، وطول الأمل، فأمَّا أتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة»(١).

وهذه الأمور التي ذكرناها حول جهاد النفس ومراقبتها ومحاسبتها لها فضائلها وآثارها الإيجابية على السلوك في الطريق إلى الله تعالى، لأن رَدْع النفس عن كثيرٍ مما تحبّ يؤدّي إلى عدم سيطرة الأهواء والشهوات على الإنسان، وعدم وقوعه في المهالك والمعاصي.

«من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خَسِرَ»(٢).

«إن المجاهِدَ نفَسَهُ على طاعة الله وعن معاصيهِ عند الله سُبحانَهُ بمِنزلة برٍّ شهيدٍ»(٣).

«إنَّك إن جاهدت نفسك حُزْت على رِضَى الله»(٤).

«جاهِد شهوَتَكَ وغالِب غَضَبَك وخالِفْ سوء عادتِك تَزْكُ

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٢.

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٢٠٨.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودررالكلم ص ٢٤٢.

(٤) تصنيف غرر الحكم ص ٢٤٢.

نَفْسُكَ وَيَكمُلْ عَقلُكَ وتستكمِلْ ثواب ربِّك»[١].

وكلام الإمام علي عليه السلام عن النفس الإنسانية وضرورة محاسبتها ومراقبتها وبالتالي تعويدها وتدريبها على الخير يهدف إلى بناء الشخصية المثالية التي تحترم ذاتها وتعمل على إصلاح سريرتها وباطنها، وقد أراد الامام عليه السلام أن ينطلق من صلاح الباطن الذي هو بمثابة وضع حجر الأساس في عملية الإصلاح الاجتماعي، فمن الباطن يبدأ الإنسان رحلته لبناء العلاقات الاجتماعية النموذجية التي هي انعكاس واضح لصلاح النفس الانسانية.

ثالثاً: العلاقات الاجتماعية الخاصة:

إهتمّ الإسلام إهتماماً بالغاً بتمتين شبكة العلاقات بين الإنسان وأسرته وأهله وأقربائه وأرحامه. ووضع لهذه العلاقة القريبة إلى الإنسان جوّاً من السلام والحب والتعاون، وذلك لأن لسلامة هذه الشبكة وصونها دوراً كبيراً في سلامة الفرد والمجتمع، وفي حماية الإنسان وسط مشاكل الحياة ومتاعبها.

وأسرة الإنسان وعترته وأرحامه و... أقرب الناس وألصقهم صِلةً به وأعرفهم به. فإذا كانت العلاقة قائمة على أسس سليمة كان أهله وأقرباؤه أسرع الناس إلى نجدته وإمداده وعونه وحمايته كلما

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٢٤٢.

دعت الحاجة إلى ذلك.

وقد وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف نصوص كثيرة تؤكّد على صلة الرحم ومواصلة الأهل والأقرباء والسعي في ذلك ولو كان على مسير سنة.

قال تعالى:

﴿الذين يصِلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربَّهم ويخافون سوء الحساب﴾(١).

وقال تعالى:

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذوي القربى﴾(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أوصي الشاهد أمَّتي والغائب منهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصلوا الرحم وإن كان منهم على مسير سنة، فإنّ ذلك من الدين»(٣).

وهكذا أيضاً أولى الإسلام الإهتمام الكبير للعلاقة بين الإنسان وزوجته. وأرادها أن تكون في جوٍ صالح يتبادل فيه الزوجان المحبَّة

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٣) بحار الأنوار المجلسي ج ٧٤ ص ١٠٥.

والثقة والألفة والتعاون، ويركَنُ إليه كلٌّ من الزوجين، ويجد فيه حاجته النفسية وتعابير القرآن الكريم عن طبيعة الحياة الزوجيّة ودورها ومهمَّتها في حياة الإنسان تستوقف الإنسان وتدعوه إلى التأمل.

فقد قال تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودَّة ورحمة﴾(١).

﴿هُنَّ لِباسٌ لكُم وأنتُم لباسٌ لهنَّ﴾(٢).

فكلٌّ من الزوجين سترٌ للآخر، يستره ويحميه من السقوط في الرذيلة، ويستره عن سيطرة الشهوات.

وعن الإمام علي بن الحسين السجَّاد عليه السلام في رسالته المعروفة برسالة الحقوق يقول:

«أمّا حق الزوجة فأن تعلم أن الله (عز وجل) جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أن ذلك نعمةً من الله عليك، فتكرمها، وترفُقُ بها»(٣).

وأما الشطر الآخر من علاقات الإنسان الاجتماعية الخاصة

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة: ١٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٥.

فهو العلاقة داخل العائلة الخاصة، والتي لها دور مهم في بناء العائلة بناءً سليماً. ونقصد بهذه العلاقة، علاقة الوالدين بالأولاد وبالعكس. فهذه العلاقة أيضاً أولاها الإسلام إهتماماً كبيراً وعناية خاصة.

فأمر الوالدين بأن يعطوا الطفل المودَّة والرحمة التي لا تقِلُّ عن الحاجة إلى النوم والغذاء وأمرهم بإكرامه وبرِّه، وأن يحسنوا تربيته ومعاملته، ووضع قانوناً للولد في علاقته مع والديه حيث أمره بأن يُحسِن إليهما وأن يبرَّهما ولا يعقَّهما و. . .

وقد دعا الإمام علي عليه السلام في كلماته وأقواله إلى الإهتمام بهذه الجوانب الثلاث التي تقع في ضمن علاقات الإنسان الخاصة وهي:

١ ـ علاقة الإنسان بذوي القربى.

٢ ـ علاقة الإنسان بالمرأة.

٣ ـ علاقة الوالدين بالأولاد.

أما فيما يتعلق بالمحور الأول وهو:

أ ـ العلاقة مع الأرحام:

علاقة الإنسان مع ذوي القربى:

أكدّ الإمام علي عليه السلام على الفوائد، العظيمة لصلة الرحم، وحث على الإهتمام بها، لأن الإنسان لا يمكن أن يستغني عنهم

باعتبارهم المدافع والمحامي الأول عنه حين وقوع المصائب والنكبات ولهذا يقول:

«أيها الناس إنَّه لا يستغني الرجل ـ وإن كان ذا مالٍ ـ عن عترته، ودِفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطةً من ورائه، وألَمُّهم لِشعثِه، وأعطفُهم عليه عند نازلةٍ إذا نزلت به، ولسانُ الصِدقِ يَجعلُهُ الله للمرءِ في الناس، خير له من المالِ يرِثُهُ غيرُهُ...

ألا لا يَعدِلَنّ أحدُكُم عن القرابة يرى بها الخصَاصَة، أن يَسدَّها بالذي لا يزيدُهُ إن أمسكَهُ، ولا ينقُصُهُ إن أهلَكَهُ، ومن يَقْبضْ يَدَهُ عن عشيرته، فإنَّما تُقْبَضُ منه عنهم يَدٌ واحدةٌ، وتُقْبَضُ منهم عنه أيْدٍ كثيرة! ومن تَلِنْ حاشيتُهُ يَستَدِم من قومِهِ المودَّة»[1].

وقال عليه السلام للحَّث على صلة الرحم:

«فَمَنْ آتاه الله مالاً فليصلْ به القرابة، وَلْيُحسِنْ منه الضِّيافَةَ، ولْيَفُكَّ به الأسير والعاني، وَلْيُعْطِ منه الفقير والغانِم»[2].

ويذكر الإمام عليه السلام بأنَّ من مسؤوليات ربِّ الأُسرة أن يأمُرَ أهله ورَحَمِه بعبادة الله (كالصلاة) كما كان يأمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهله.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

«وكان رسول الله ﷺ نَصِباً بالصَّلاة بعد التبشير له بالجنة، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وأمرُ أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾، فكان يأمر بها أهله، ويصبر عليها نفسه»(١).

ويأمر عليه السلام أن يُكرِّم الإنسان أقربائه وأرحامه وفقاً لمبادىء الشريعة الإسلامية فيقول:

«وأكرم عشيرتك، فإنَّهم جناحُكَ الذي به تطيرُ، وأصلُك الذَّي إليه تصير، ويَدُك التي بها تَصُولُ»(٢).

فوائد صلة الرحم:

يذكر الإمام علي عليه السلام جملةً من فوائد صِلة الرَّحم وهي:

١ ـ إنها من موجبات الإسلام، ويكرِّم الله من يُكرِّم أرحامه.

«إن صلة الأرحام لمن موجبات الإسلام، وإن الله سبحانه أمر بإكرامها، وإنَّه تعالى يَصِلُ من وصلها، ويقطعُ من قطعها، ويُكرِمُ من أكرمها»(٣).

٢ ـ إن صلة الرحم تجلب النِعم وتُزيدُ في الأموال...

«صِلة الرحم تُدِرُّ النِّعم، وتدفع النِّقم»(٤).

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٤٠.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٩٩.

(٣) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.

(٤) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلِم: مصطفى درايتي. ص ٤٠٥ الباب الأول في الأهل.

«صِلة الأرحام تُثمِرُ الأموال، وتُنْسىءُ في الآجال»[١].

«صِلة الأرحام مثراةٌ من الأموال مَرْفَعَةٌ (رافعة) للأعمال»[٢].

٣ ـ إن الأرحام إذا تواصلوا اشتدت عاطفتهم على بعضهم.

«إنَّ الرَّحم إذا تماسَتْ تعاطفتْ»[٣].

صلةُ الرحم تُوجِبُ المحبَّة وتكبتُ العدوّ»[٤].

٤ ـ إنها من أفضل الخصال الحميدة.

«صلة الأرحام من أفضل شيم الكرام»[٥].

«مِن الكَرَم صِلةُ الرحِم»[٦].

قطيعة الرَّحم وذمِّها:

وردت نصوصٌ وأحاديث كثيرة عن الإمام علي عليه السلام تطرح سلبيات وأضرار قطيعة الرحم على الإنسان وهي:

١ ـ أنها تورثِ الفقر:

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

«وقطيعة الرحِم تورثُ الفقر»[١].

٢ ـ أنها علامة عدم الإيمان:

«ما آمن بالله من قطع رَحِمَه»[٢]

٣ ـ أنها سبب النقَّمة وإزالة النعمة:

«في قطيعة الرحم حلولُ النِقَم»[٣].

«قطيعة الرحم تُزيلُ النِّعَمَ»[٤].

٤ ـ أنها من الخصال السيّئة:

قطيعة الرَّحم مِن أقْبَحِ الشِّيمِ»[٥].

٥ ـ أنها من أكبر المعاصي:

«أقبَحُ المعاصي قطيعة الرَّحِم والعقوق»[٦].

صلة الرحم وحدودها:

رغم التأكيد والاهتمام البالغ الذي رأيناه في كلمات الإمام

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الخصال للصدوق (ص ٥٠٥ أبواب الستَّة عشر (ح ٢).
تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: درايتي، ص ٤٠٥ الباب الأول في الأهل.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر،

علي عليه السلام على صلة الرحم، وعلى جعلها من المسائل المهمة في حياة الإنسان، لكن ذلك مرهون بحدود وشروط معيِّنة وهي أن لا يجعل الإنسان من القرابة عاملاً للإبتعاد عن الدين، بحيث يجعلها الإنسان شغله الشاغل، وهَمُّه الأكبر الذي يَصرِفُهُ عن أمور دينه. ولهذا يقول عليه السلام :

لا تجعلَنَّ أكثر شغلك بأهلك وولدِك، فإن يكن أهلك، وولدُك أولياء الله، فإن الله لا يُضيِّعُ أولياءَهُ، وإن يكونوا أعداء الله، فلما هَمُّك وشُغلُكَ بأعداء الله؟»[1].

وقال عليه السلام :

«ولا يكُن أهلُكَ أشقى الخلقِ بِك»[2].

وأما الأمور التي يجب أن يقدمها الإنسان على القرابة والرَّحم. فهي ما لو اقتضى الإسلام أن يقف الإنسان موقف العداء من قرابته الذين هم في خط أعداء الله، فحينئذٍ لا يجوز تقديم القرابة على الدين الذي هو المقياس الأساس في خط الإنسان.

ويتحدَّث الإمام علي عليه السلام عن الزمن الأول الذي بُعِثَ فيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وكيف أن الإنسان المسلم كان يواجه بعقيدته كل

(١) نهج ابلاغة: الحكمة: ٣٥٢.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

الناس حتى أقربهم إليه في سبيل الحفاظ على الإسلام ونشرِهِ حيث يقول عليه السلام.

«لقد كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نَقتُلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً»(١).

ب: العلاقة مع الزوجة والمرأة:

الحياة الزوجيّة قلعة للسلام في حياة الإنسان، فإذا ضاقت بالإنسان الحياة الدنيا بما رَحبُت، وواجه الإنسان في الوسط الاجتماعي، وفي أجواء عمله ومهمَّاته ورسالته ما لا قِبْلَ له به، من المشاكل والمتاعب والمواجهة. لجأ إلى هذه القلعة الحصينة ليستشعر فيها الأمن والسلام والدِعة وراحة البال.

وقد أعدَّ الله تعالى هذه البنية الاجتماعية الصغيرة إعداداً خاصاً لتكون ملجأ للناس في حياتهم يجدون فيه ما يحتاجون إليه من الشعور بالأمن والسلام والحب والثقة والطمأنينة، وهي حاجات أساسية ورئيسية في حياة الإنسان، ومن دونها يفقد الإنسان توازنه وتختلُ سلامته النفسية(٢).

وقد يتبادر للبعض أن في بعض أقوال الإمام علي عليه السلام

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٥٦.

(٢) حق الأمان: الشيخ الآصفي ـ ص ٥٦.

إنتقاصٌ للمرأة كإنسانة، ولكن لا بد للمتأمّل في كلمات الإمام بحق المرأة أن يُمعِنُ النظر بدّقةٍ ليعلم أن أقواله نابعة من نظرةٍ علمية صحيحة، وهي أن العاطفة طبيعة تكوينية طاغية على الإنسان إلاّ ما شَذَّ ونذر، وهي من الضرورات الواجبة لإستقامة الحياة الإنسانية.

ولكن باعتبار أن هذه النقطة خارجة عن محل بحثنا نشير إلى مثالٍ يوضّح بعضاً من كلمات الإمام بشأن المرأة. فمثلاً يقول الإمام عليه السلام بأن النساء نواقص الإيمان و الحظوظ والعقول. وهذا الكلام يبدو لأول نظرة أن فيه نوعاً من الإهانة والمنقصة الكبيرة لشعور المرأة وموقِعها كإنسان يعيشُ في المجتمع البشري ولكن مع متابعة كلامه بأكمله يتضِّح مراد الإمام ومغزى كلامه.

وأما نص كلامه فهو:

«معاشِر الناس، إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فأما نقصان إيمانهن فقعودهنَّ عن الصلاة والصيام في أيام حيضهنّ.

وأما نقصان عقولهنَّ فشهادة إمرأتين كشهادة الرجل الواحد.

وأما نقصان حظوظهنَّ فمواريثهنَّ على الإنصاف من مواريث الرجال»[1].

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧٨.

وفي موضع آخر ينصح الإمام الرجال بأمور تتعلَّق بالطبائع التكوينية الخاصة بالنساء، وذلك كالبنية الضعيفة التي خُلِقت عليها المرأة، وهذا يتطلَّب نوعاً خاصاً من التعامل معها فيقول عليه السلام :

«ولا تهيجوا النساء بأذىً، وإن شَتَمْنَ أعراضكم، وسَبْبْنَ أمرائكُم، فإنَّهنَّ ضعيفاتُ القوى والأنفُس والعقول؛ إن كُنّا لنُؤمَرُ بالكفِّ عنهنَّ، وإنَّهنَّ لَمُشركاتٌ، وإن كان الرَّجُلُ ليتناول المرأة في الجاهلية بالفِهْرِ[١]، أو الهراوة[٢] فيُعيَّرُ بها وعَقِبُهُ من بَعْدِهِ»[٣].

نصائح الإمام للرجل والمرأة:

لكي تكون العلاقة الزوجية مأمناً وملجأً للإنسان يحتمي بها، ويؤمِّن فيها حاجته للسكون و الستر والمودَّة والرحمة وضع الإمام علي عليه السلام تنظيماً لهذه العلاقة المُقدَّسة من خلال بعض النصائح التي وجهَّها لكلٍّ من الرجل والمرأة نُشيرُ إلى بعضها.

نصائح للرجل:

١ ـ يشير الإمام عليه السلام في نصيحته إلى الرجل حول كيفية اختياره للزوجة عند إرادة التزويج وهي أن لا ينظر فقط إلى جمال

---

(١) الفِهر: حجر يدق به الجوز.

(٢) الهراوة: العصا.

(٣) نهج البلاغة الكتاب ١٤.

المرأة وما لها بل لا بد أن يجعل المقياس في الاختيار هو الدين.

حيث يقول عليه السلام:

«لا تَنْكَحُوا النسّاء لِحُسنِهنَّ، فعسى حُسنُهُنَّ أن يَرديهنَّ، ولا لأموالِهنَّ فَعَسى أموالُهُنَّ أن تُطغِيَهنَّ، وانكحُوْهُنَّ على الدين، ولأمَةٌ سوداء خَرْماءُ[١] ذات دينٍ أفضلُ»[٢].

٢ ـ عدم الإساءة إلى المرأة:

«من أساء إلى أهْلِهِ لم يَتَّصِل به تأميل».

٣ ـ أن لا يكون سبباً لشقاء زوجته:

«لا يكُن أهلُكَ وذو ودِّك أشقى الناس بك».

٤ ـ أن يتساهل معها:

«التَسُّهلُ (التَساهُلُ) يُدِرُّ الأرزاق».

٥ ـ أن يكون من أهل المعروف معها.

«مِن سعادة المرءِ أن يضع معروفَهُ عند أهله».

٦ ـ أن يكون باراً معها:

«عليك بلزوم الحلال وحُسْنِ البِّر بالعيال وذِكْرِ الله من كل حال».

---

(١) الخرماء: المثقوبة الأنف أو الأذن.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٦٠.

٦ ـ أن لا يجعل عياله شغله الشاغل:

«لا تجعل أكْبَرَ همّك بأهلك وولدِكَ فإنّهم إن يكونوا أولياء الله سبحانه فإن الله لا يُضيّع وليّه وإن يكونوا أعداء الله فما هَمُّكَ بأعداء الله»(١).

نصائح للمرأة:

١ ـ أن تكون موافقة لرأي الزوج:

«الزوجة الموافقة إحدى الراحتين».

«الزوجة الموافقة، والولد الصالح، والأخ الموافق»..

٢ ـ أن تكون مثالاً للمرأة الصالحة.

«الزوجة الصالحة أحَدُ الكسبين».

«أنعمُ الناس عيشاً من مَنَحَهُ الله سبحانه القناعة وأصْلَحَ له زَوْجَهُ».

٣ ـ أن تكون مصونة:

صِيانَةُ المرأة أنْعَمُ لِحالِها وأدوَمُ لجمالها»(٢).

٤ ـ أن تكون حَسَنَةُ التَّبعُل.

---

(١) راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: درايت، ص ٤٠٥ الباب الأول في الزوج والزوجة.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ص ٤٠٥ الباب الأول.

«جهادُ المرأة حُسنُ التَّبعُّلِ»[١].

ج: علاقة الوالدين بأولادهم:

أمر الإسلام بإعطاء المحبة والمودَّة والرحمة للطفل الذي هو بأمس الحاجة إلى ذلك، لما لهذا من تأثير كبير في نموّ الطفل نموّاً سليماً، وتكامل شخصيته. واعتبر ذلك من العبادات التي يُثابُ عليها الوالدين.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«نظر الوالد إلى ولده حُبّاً له عبادة»[٢].

وقبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين، فقال الأقرع ابن حابس: إنَّ لي عشرة من الأولاد ما قبلّت واحداً منهم، فقال ﷺ:

«ما عليَّ إن نزع الله الرحمة منك»[٣].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أن من موجبات رحمةِ الله بالإنسان هي في مقدار حبّه لولده حيث قال:

«إن الله (عزّ وجل) ليرحم الرجل لشدَّة حبّه لولده»[٤].

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٦.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة: النوريّ ج ٢ ص ٦٢٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٩٣ ح ١٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٩ ح ٧ ووسائل الشيعة، ج ١٥ ص ٩٨ ح: ٢٧٣، ووسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢٠١ ح: ٧٦٥٠.

ولأهمية هذه العلاقة في بناء العائلة الواحدة فقد أولى الإمام علي عليه السلام هذه العلاقة أهميةً كبيرة. ونذكر فيما يلي نماذج من توجيهات الإمام عليه السلام لبناء علاقة سليمة بينهما في جوّ واحد تسوده المحبة.

الحقوق المتبادلة بينهما:

أ ـ حق الوالدين على الولد:

١ ـ البر بالوالدين .

حيث يقول عليه السلام:

«برُّ الوالدين أكبر فريضةٍ».

«بِروُّا آباءكم يَبَرَّكُم أبناؤكم».

«من برَّ والديه بَرَّه ولدُهُ»(١).

٢ ـ الطاعة للوالدين إلا في معصية الله سبحانه.

«إن للولد على الوالد حقّاً، وإنّ للوالد على الولد حقّاً، فحقُّ الوالد على الولد أن يُطيعَهُ في كلّ شيء، إلا في معصية الله سبحانه..»(٢).

٣ ـ أن لا يُضِّيع حقَّهما ولا يَعُقَّهما.

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٠٧ الفصل الثالث.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٩٩.

قال عليه السلام : «من العقوق إضاعة الحقوق»[١].

«من استنكف من أبويه فقد خالف الرُّشد».

«شَرُّ الأولاد العاقُّ».

٤ ـ الإستفادة من تجارب الوالدين والإنتفاع من مواعظهم:

ففي وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام.

«والأخذ بما مضى عليه الأوَّلون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنّهم لم يَدَعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكَّروا كما أنت مفكِّر، ثم ردَّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عَرفَوا، والإمساك عمَّا لم يكلّفوا».

ب ـ حق الولد على الوالدين:

أن يُحسّن اسمه، ويُحسّنَ أدَبَهُ، وأن يُعلِّمه القرآن.

يقول عليه السلام :

«حقّ الولد على الوالد أن يُحسّن اسمه، ويحسّن أدبه، ويعلّمه القرآن»[٢].

وفي وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام يقول:

«. . . وأن أبتدِئَك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله، وشرائع

(١) تصنيف غرر الحكم ص ٤٠٧.

(٢) نفس المصدر.

الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أجاوز ذلك بك إلى غيرك»[١].

٢ ـ التربية والتأديب في الصغِر:

أجمع الباحثون والمحققون على أن للتربية في سنّ الطفولة دوراً كبيراً في بناء شخصية الإنسان وتكوين صفاته لأنها كالأرض الخالية بالنسبة إلى الفلاح، فعلى طبقِ ما يزرع تكون نتيجة الحصاد.

ففي وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام يشير الإمام إلى مضمون هذا الكلام حيث يقول:.

«... أي بني: إني بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالاً منها قبل أن يسبقني إليك بعض غلبات الهوى، وفِتَن الدنيا، فتكون كالصعَب النَّفور، وإنما قَلبُ الحَدَث كالأرض الخالية، ما أُلقِيَ فيها من شيءٍ قَبلَتْهُ، فبادرتُك بالأدب قبل أن يَقْسُوَ قَلبُكَ ويشتغِلَ لُبُّكَ...

فما طاب سَقْيُهُ. طاب غَرْسُهُ وحَلَتَ ثَمرَتَهُ، وما خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غرسُهُ وأمَرَّت ثَمرَتَهُ»[٢].

ثم يذكر عليه السلام أهم أهداف التربية والتعليم فيقول:

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٩٩.

(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.

«. . فبادرتُك بالأدب. . . لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بُغْيَتَهُ وتجربته، فتكون قد كُفيتَ مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجرُّبة، فأتاك من ذاك ما قد كنّا نأتيه، واستبان لك ما ربَّما أظلم علينا منه»(١).

وقال عليه السلام:

«خيرُ ما وَرَّثَ الآباء الأبناء الأدب»(٢).

فالملاحظة المهمة في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام هي تنبيه الوالدين لأن يُعطيا إهتماماً لتربية وتعليم أولادهما منذ الصغر، ويُتيحا لهما فرصة كافية لبروز المواهب التي أودعها الله تعالى فيهم ولينشأوا نشأة سويَّة وقلبُ الطفل كما يقول عليه السلام:

تربة خصبة تستقبل كل شيءٍ مِن حَسنٍ وقبيح وشين ورزين. فإذا لم يبادر الوالدان إلى زرع القيم والأخلاق الكريمة وتقوى الله وذكر الله والإستقامة في الدين في هذه التربة الخصبة فإنَّ قلب الطفل يبقى مُعرَّضاً للإنحرافات الفكرية والسلوكية.

٣ ـ تعليمه ثقافة أهل البيت عليهم السلام:

قال عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ص ٤٠٧.

«عَلِّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها»[١].

فبعض الفرق المنحرفة كانت تعمل على صرفِ أفكار المسلمين. وهذا الحديث يوِّجه الآباء والأمهَّات إلى تثقيف أبنائهم بالأحاديث والروايات المأثورة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام لئلا تستَّغلُ هذه الفِرق الفراغ الفكري والتربوي.

ـ قبسات من وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام:

«أي بنيَّ، إني وإن لم أكُن عمرّت عُمُر من كان قبلي فقد نظرتُ في أعمالكم، وفكرت في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم؛ حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما إنتهى إليَّ من أمورهم قد عُمِّرت مع أولّهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصتُ لك من كل أمرٍ نخيلهُ[٢]**، وتوَّخيت**[٣] **لك جميلَهُ، وصَرفتُ عنك مجهولَهُ، ورأيت حيث عناني من أمرِك ما يعني الوالد الشَّفيق، وأجمعت**[٤] **عليه من أدبِكَ، أن يكون ذلك**

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ١٥ ص ١٩٧.

(٢) النخيل: المختار المصفى.

(٣) توخيَّت: أي تحرّيت.

(٤) أجمعت عليه، أي عزمت.

وأنت مُقبلٌ العمر ومُقْتَبَلُ[١] الدَّهر، ذونيَّةٍ سليمةٍ ونفسٍ صافية، وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله عزَّ وجل وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أُجاوزُ ذلك بك إلى غيره.

ثم أشفقتُ[٢] أن يلتبس[٣] عليك ما اختلفَ النَّاسُ فيه في أهوائهم وآرائهم مثلِ الذي إلتبَسَ عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرِهتُ من تنبيهك لهُ، أحبَّ إليَّ من إسلامك إلى أمرٍ لا آمنُ عليك بهِ الهلكة، ورجوتُ أن يوفِّقك الله فيه لِرُشدِك، وأن يهديك لِقصدِك، فعهدتُ إليك وصيَّتي هذه.

تقوى الله:

واعلم يا بُنيَّ أنّ أحبَّ ما أنت آخذُ به إليَّ من وصيتي تقوى الله والإقتصارُ على ما فرَضَهُ الله عليك، والأخذُ بما مضى عليه الأوَّلون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك، فإنَّهُم لم يَدَعُوا أن نَظَرُوا لأنفسهم كما أنت ناظِرٌ، وفكَّروا كما أنت مُفكِّرٌ، ثم ردَّهُم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا.

---

(١) مُقْتَبَلُ ـ بالفتح ـ من اقتبل الغلام فهو مقتبل. وهو من الشواذ، والقياس مُقتبلٌ بكسر الباء لأنه اسم فاعل. ومُقتبل الإنسان: أول عمره.

(٢) أشفقت: أي خشيت وخفت.

(٣) إلتبس: غمض.

العلاقة مع الناس:

يا بُنيَّ اجعل نفسَكَ ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تُحبُّ لنِفسكَ، وأكرَه له ما تكرهُ لها، ولا تظلم كما لا تحبّ أن تُظلمَ، وأحسِن كما تحبّ أن يُحسَنَ إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحُهُ من غيرك، وأرض مِن النّاس بما ترضاهُ لهم من نفسك، ولا تقُل ما لا تعلَمُ وإن قلَّ ما تعلم، ولا تقُل ما لا تحبُّ أن يقال لك.

زاد الآخرة:

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقَّةٍ شديدةٍ وأنَّهُ لا غِنى بك فيه عن حُسنِ الإرتياد[١]، وقدر بلاغِك من الزاد، مع خِفَّةِ الظهر، فلا تحملنَّ على ظهرك فوق طاقتِك، فيكون ثِقلُ ذلك وبالاً عليك، وإذا وَجدتَ من أهل الفاقة[٢] من يَحمِلُ لك زادك إلى يوم القيامة، فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمهُ وحَمِّلهُ إيَّاهُ، وأكثر من تزويده وأنت قادرٌ عليه، فلعلَّك تطلُبُهُ فلا تجدُهُ. واغتنم من استقرضَك في حال غِناك، ليجعل قضاءَهُ لك في يوم عُسرتِكَ.

---

(١) الإرتياد: الطلب. وسنه: إتيانه من وجهه.

(٢) الفاقة: الفقر.

ذكر الموت:

يا بُنيَّ أكثِر من ذِكرِ الموت، وذكرِ ما تَهجُمُ عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حِذْرَكَ[١]، وشددْتَ له أزرَكَ[٢]، ولا يأتيك بَغتَةً فَيَبْهرَكَ[٣]، وإيَّاك أن تغترَّ بما ترى من إخلادِ أهل الدنيا إليها[٤]، وتكالُبِهم[٥] عليها، فقد نبَّأك اللهُ عنها، ونَعَتْ هي لك عن نفسها، وتكَشَّفت لك عن مساويها، فإنما أهلُها كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضاريةٌ[٦] يَهرُّ[٧] بعضُها على بعضٍ، ويأكُلُ عزيزُها ذَليلها، ويقهرُ كبيرُها صغيرها . . .

وصايا شتى:

فإنِّي أوصيك بتقوى الله ـ أي بُنيَّ ـ ولُزُوم أمرِهِ، وعِمارةِ قلبِك بذِكرِهِ، والاعتصام بحبلِهِ، وأيُّ سَببٍ أوثقُ من سببٍ بينك وبين الله إن أنت أخذت به! .

---

(١) الحذر ـ بالكسر ـ: الإحتراز والإحتراس.

(٢) الأَزْر ـ بالفتح ـ: القوة.

(٣) بَهَرَ ـ كَمنَع ـ غلب، أي يغلبك على أمرك.

(٤) إخلاد أهل الدنيا: سكونهم إليها.

(٥) التكالب: التوائب.

(٦) ضارية: مولعة بالإفتراس.

(٧) يَهرُّ ـ بكسر الهاء ـ وهو صوته دون حاجة من قلة صبره على البرد. فقد شبّه الإمام أهل الدنيا بالكلاب العاوية.

أحي قَلبكَ بالموعظة، وأمِتهُ بالزَّهادة، وقوِّهِ باليقين ونوِّرهُ بالحِكمة، وذَلِّله بذِكرِ الموت، وقرِّرَهُ بالفناء[١]، وبصِّرهُ فجائعَ الدُّنيا، وحذِّرهُ صَولَةَ الدَّهرِ وَفُحش تقلُّبِ الليالي والأيام، وأعرضْ عليه أخبار الماضي، وذَكِّرهُ بما أصاب من كان قَبلَكَ مِن الأوَّلين، وسِر في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعمَّا انتقلوا، وأين حلُّوا ونزلُوا!.

فإنَّك تجدُهُم قد انتقلوا عن الأحبَّة، وحَلّوا ديار الغُربة، وكأنَّك عن قليلٍ قد صرتَ كأحدهم، فأصلحْ مثواك، ولا تبعْ آخرتكَ بدُنياك، ودعِ القول فيما لا تعرفُ، والخطاب فيما لم تُكلَّف...

يا بُنَيَّ إنِّي قد أنبأتُكَ عن الدنيا وحالِهَا، وزوالِها وانتقالها، وأنبأتُكَ عن الآخرة وما أُعدَّ لأهلها فيها، وضربتُ لك فيهما الأمثال، لتعتبر بها، وتخدوَ عليها...

قارن أهل الخير تكُن منهم، وباين[٢] أهل الشرّ تَبِن عنهم بئس الطّعام الحرام! وظُلمُ الضعيف أفحش الظلُّم! إذا كان الرّفقُ خُرقاً[٣] كان الخُرقُ رِفقاً. ربَّما كان الدّواء الداء، والداء دواء...

---

(١) قرّره بالفناء: اطلب منه الإقرار بالفناء.

(٢) باين: أي باعد وجانب.

(٣) الخُرْق ـ بالضم: العنف.

ولا تَكُن عَبْدَ غيرك وقد جعلك الله حُرّاً. وما خَيْرُ خيرٍ لا يُنالُ إلا بشرٍّ. ويُسرٍ[١] لا يُنَالُ إلا بِعُسر[٢]؟!...

وإن استطعت ألاّ يكون بينك وبين الله ذو نعمةٍ فافعل، فإنَّك مُدركٌ قَسْمَكَ، وآخذٌ سَهْمَكَ، وإنَّ اليسير من الله سبحانهُ أعظمُ وأكرمُ من الكثير من خَلقِهِ وإن كان كُلٌّ فيه...».

رابعاً: العلاقات الاجتماعية العامة:

تأخذ قضية العلاقات الاجتماعية العامة في وسط الأمة الإسلامية طابعاً خاصاً ومميَّزاً.

هذه العلاقة هي علاقة المحبة والوئام والسلام كما أرادها الإسلام ووضع لها قانوناً واضحاً يُشكِّل المبدأ الأساس لارتباط المؤمنين بعضهم ببعض، ويَشدُّ به أطراف وأجزاء وأعضاء هذه الأمة الواحدة ببعض، ويعتمده الإسلام أساساً لتنظيم العلاقات داخل الأمة الإسلامية الواحدة.

ولا شك في أن هذا القانون قانون متميّز ليس له نظير.

وهذا القانون، قانون شامل للعلاقات الاجتماعية العامة التي

---

(١) اليُسْر: السهولة، والمراد سعة العيش.

(٢) العُسر: الصعوبة: والمراد ضيق العيش.

يرتبط الإنسان من خلالها بالآخرين.

وكما ذكرنا فإن الأساس في هذه العلاقات هو العلاقة مع الناس على أساس المحبة والإخلاص والإحترام.

قال تعالى:

﴿هو الذي أيدَّك بنصره وبالمؤمنين، وألَّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جيمعاً ما ألَّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم إنَّه عزيز حكيم﴾(١).

﴿واذكروا إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾(٢).

وقد ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«المحبة في الله آكد من وشيج الرحم»(٣).

و «المحبَّة لله أقربُ نسب»(٤).

فالعلاقة بين المسلم والمسلم نسب، وهذا النسب يقوم على أساس من الحب لله تعالى، والعلاقة بين المسلم والمسلم وشيجة

(١) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) آل عمران الآية ١٠٣.
(٣) غرر الحكم للآمدي.
(٤) غرر الحكم للآمدي.

من وشائج الرحم، وهذه الوشيجة أيضاً قائمة على أساس المحبة والإحترام للمؤمن بالله.

قانون العلاقة مع الناس:

بنى الإسلام الأخوّة الدينية على أسس عميقة. وأمر بالأسباب التي تؤدي إلى المحبة والتوادد والتآلف، ونهى عن عوامل العدوان والتباغض، ولم يَغفْل عن ذكر القوانين والأسس التي يمكن من خلالها أن يبني الإنسان علاقته مع الناس.

وفي وصية الإمام علي عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام يذكر له فيها ميزان التعامل مع الناس، وحدود ومقدار هذا القانون الذي يحكم علاقات الناس مع بعضهم البعض فيقول عليه السلام.

«يا بنيّ إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرِك، فأحبب لغيرك ما تُحبُّ لنِفسِك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلِم كما لا تُحبُّ أن تُظلَمَ، وأحسِن كما تُحبُّ أن يُحسَنَ إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تَقل ما لا تعلم، وإن قَلَّ ما تعلم، ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أن يُقال لك»[1].

وقال عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة الرسالة ٣١.

«خالطوا الناس مخالطةً إن مِتُّم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حَنّوا إليكم»(١).

وفي كلام له عليه السلام يشير إلى التكوين الطبيعي الذي على أساسه خلق الله تعالى الناس عليه، حيث جمعهم على الأخوّة ووحدَّهم على دين واحد، ولكن دخلت عوامل الفِرقة والتباغض بين الناس من سوء تعاملهم مع بعضهم فقال عليه السلام:

«وإنَّما أنتم اخوانٌ على دين الله، ما فرَّقَ بينكم إلا خُبْثُ السرائِر، وسوء الضَّمائِر، فلا توازرون ولا تناصحون، ولا تباذلون ولا توادّون... وما يَمْنَعُ أحدكُم أن يستقبل أخاه بما يخافُ مِن عيبه، إلا مخافة أن يستقبله بمِثلِهِ»(٢).

وفي وصيةٍ له عليه السلام يأمر الناس فيها بتقوى الله، وصلاح ذات بينهم يقول:

«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونَظْمِ أمرِكُم، وصلاح ذاتِ بينكم، فإني سمعت جدَّكما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام)»(٣).

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١١١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨٦.

فالمجتمع الذي يتعامل فيه أفراده على أساس التقوى والأخوة لا بد أن يكون مجتمعاً مثالياً ونموذجياً تسوده المحبة والولاء والتعاطف. وهذه الأمور عناصر أساسية لتوثيق العلاقة بين الناس وتأليف قلوبهم.

الحقوق المتبادلة بين المسلمين:

لكي تُبنى العلاقات الاجتماعية داخل الأمة الإسلامية على أساس متين من المحبَّة والتآلف، لا بد من أن تتماسك هذه الأمة وتترابط فيما بينهما بمشاعر وأحاسيس وحقوق ومسؤوليات، ومن وراء معرفة الإنسان لحقوقه على الغير وحقوق الناس عليه، وإنسجامه وقيامه بواجباته معهم تتأكد عناصر المحبة والتعاطف، ويُدركُ الفرد مسؤوليته في المجتمع. وفيما يلي ننقل نصَّاً يرويه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبيّن فيه الحقوق والمسؤوليات التي تربط أبناء هذه الأمة بعضها ببعض.

فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله عليه السلام: للمسلم على أخيه ثلاثون حقَّاً لا براءة له منها إلا بالأداء والعفو:

١ ـ يغفر زلّته ٢ ـ ويرحم عبرته ٣ ـ ويستر عورته ٤ ـ ويقيل عثرته ٥ ـ ويقبل معذرته ٦ ـ ويردّ غيبته ٧ ـ ويديم نصيحته ٨ ـ

ويحفظ خلتّه ٩ ـ ويرعى ذمتّه ١٠ ـ ويعود مرضته ١١ ـ ويشهد ميّته. ١٢ ـ ويجيب دعوته ١٣ ـ ويقبل هدّيته ١٤ ـ ويكافىء صلته ١٥ ـ ويشكر نعمته ١٦ ـ ويحسن نصرته ١٧ ـ ويحفظ حليلته ١٨ ـ ويقضي حاجته ١٩ ـ ويشفّع مسألته ٢٠ ـ ويسمّت عطسته ٢١ ـ ويرشد ضالّته ٢٢ ـ ويردّ سلامه ٢٣ ـ ويطيّب كلامه ٢٤ ـ ويبرّ إنعامه ٢٥ ـ ويصدّق أقسامه ٢٦ ـ ويوالي وليّه ولا يعاديه ٢٧ ـ وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذِ حقّه ٢٨ ـ ولا يسلمه ولا يخذله ٢٩ ـ ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه ٣٠ ـ ويكره له من الشرّ ما يكره لنفسه»[1].

فمع أداء هذه الحقوق التي ذكرها الإمام عليه السلام نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تتماسك الأمة الإسلامية، ويتضامن أفرادها ضمن هذه القوانين التي سُنَّت لسعادتهم.

وقد وردت النصوص الكثيرة عن الإمام علي عليه السلام والتي تُعبِّر بدقّة عن هذه الحقوق والواجبات.

ففي كلام يقوله للخوارج يبيِّن فيه أن المسلم الفاسق لا يفقد حقوقه كمسلم رغم فسقه، يقول عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي ج ٧٤ب ص ٢٣٦.

«وقد علمتم أن رسول الله ﷺ، رجم الزاني المُحصن ثم صلَّى عليه، ثم ورَّثه أهلهُ، وقتل القاتل، وورَّث ميراثهُ أهله. وقطع السّارق وجلد الزاني غير المُحصَن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونَكَحا المسلمات. فأخذهم رسول الله ﷺ، بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهُم سهمهُم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهُم من بين أهله»(١).

ومن الحقوق المفروضة على المسلمين تجاه بعضهم أن ينتزع كل واحدٍ منهم من نفسه كلّ غلّ وحقدٍ وكراهية. وهذا الأمر يأخذ بُعداً خاصاً حيث تتعمَّق من خلاله الروابط العاطفية والنفسية، وللتأكيد على هذا الأمر أشار القرآن الكريم إلى أن من شروط الدخول إلى الجنة هي أن ينتزع الإنسان الغلّ من قلبه.

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾(٢).

ويتصّف الإنسان المُبغِض في المجتمع الإسلامي بالإنسان الشرير. فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: .

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

«ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم»(١).

ومن الحقوق المفروضة على المسلمين هي أن يألف بعضهم بعضاً. وبعضهم يستريح إلى بعض ويركن إليه. وهذه الألفة هي ما منحه الله تبارك وتعالى للمجتمع الإيماني الرسالي.

﴿هو الذي أيَّدك بنصره وبالمؤمنين. وألَّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله»(٣).

ومن هذه الحقوق أن يشعر المسلم بالعاطفة والرحمة تجاه أخيه، وأن يكون قلبه وعقله. ليِّناً تجاه ما يصيب المؤمنين في إبتلاءٍ وعسرٍ وشدةٍ وضيق، وأن يعطف عليهم.

وقال تعالى في صفة المؤمنين أصحاب النبي ﷺ:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشِداء على الكفّار رحماء

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٢ ص ٢٠٤ الطبعة الحجرية.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي: ج ٧٨ ص ٥٦.

بينهم﴾[١].

ولعلَّ أبلغ تعبير في ذلك هو ما أمر به الإمام علي عليه السلام مالك الأشتر في عهده إليه عندما ولاّه مصر حيث يقول فيه:

«أشعِر قلبك الرحمة للرَّعيَّة، والمحبَّة لهم، واللُّطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهُم، فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدِّين، أو نظيرٌ لك في الخلق...»[٢].

«أشعِر قلبك الرحمة لجميع الناس، والإحسان إليهم»[٣].

ومن الحقوق التي يتبادلها المسلمون هي إنصاف بعضهم، وعدم ظلمهم: فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في عهده إلى الأشتر:

«أنصِف الله وأنصِف النّاس مِن نفسِك، ومن خاصَّة أهلِك، ومن لك فيه هوىً من رعيتك، فإنَّك إلاّ تفعل تظلِم! ومن ظلم عباد الله كان الله خَصْمَهُ دونَ عباده، ومن خاصَمهُ الله أدحض[٤] حُجّتهُ، وكان لله حرباً حتى ينزِع[٥] أو يتوب. وليس شيءٌ أدعى إلى تغيير نِعمةِ الله وتعجيل نِقمتِهِ في إقامةٍ على ظُلمٍ، فإن الله سميعٌ دعوة

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٥٣.

(٣) أمالي الصدوق ص ٢٨٨.

(٤) أدحض: أبطل.

(٥) ينزع: أي يقلع عن ظلمه.

المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد...»[١].

ومن خلال مراعاة هذه الحقوق وتأديتها يكتمل بناء الأمّة المثالية التي أرادها الإسلام وجاهد من أجلها رسول الله ﷺ لتكون خير أمَّةٍ أُخرجت للناس على مرِّ التاريخ والعصور.

ومن حقوق المسلم على أخيه الإرتباط به برابط الأخوّة، فإنّ أوثق وأعمق رابطة جعلها الإسلام هي رابطة الأخوة بين أفراد المجتمع الإسلامي، ولم تكن هذه الأخوة فقط على مستوى الشعارات الزائفة. بل كانت حقيقة واقعة وتجربة تاريخية، وأصل بارز من أصول الإسلام.

ولم تقم الأخوّة الإسلامية على أساس قبلي أو جنسي أو أقليمي. حيث بلغت هذه الأخوة القمة في روعتها وعظمتها، ويظهر ذلك جلّياً حينما نقرأ قول النبي ﷺ.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه».

وأراد الإسلام أن يجعل الأخوة الإسلامية كالأخوة النسبية في قوتها ومكانتها حيث قال تعالى.

﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلِحوا بين أخويكم واتقّوا الله﴾[٢].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

فالأخوة تشكِّل أقصى درجات القرب والصلة المتقابلة بين الناس، والتعبير عن العلاقة بين المؤمنين بالأخوَّة يَرسِمُ عُمقَ هذه الصلة وثباتها.

ووردت النصوص الكثيرة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي يتعرض فيها إلى جوانب متعددة من مسألة الأخوة حيث يبيّن حقوق الأخوَّة، وصفات الأخ وحقوقه وما شابه ذلك.

ج: حقوق الأخوَّة:

أشار الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة إلى أهم حقوق الأخوة ويمكن الإشارة إلى بعضها وهي:

١ ـ عدم تضييع حق الأخ:

قال عليه السلام:

«ولا تُضيّعَنّ حقَّ أخيك إتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخٍ من أضَعْتَ حقّه»(١).

٢ ـ عدم سُماع الأقاويل فيه:

قال عليه السلام:

«أيها الناسُ: من عرف من أخيه وثيقَةَ دِيْنٍ وسَدَادَ طريقٍ، فلا

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.

يَسْمَعَنَّ فيه أقاويل الرِّجال. أما إنَّه قد يرمي الرَّامي، وتُخْطِىءُ السِّهَامُ، وَيُحيلُ الكلامُ»[١] أي يتغير.

٣ ـ الذَّبَ عنه:

قال عليه السلام لأصحابه في صفين:

«وأيُّ امرىءٍ مِنكُم أحَسَّ مِن نَفْسِهِ رَبَاطَة جأشٍ عند اللِّقاء، ورأى من أحدٍ مِن أخوانه منشَلاً، فَلْيَذُبَّ عن أخيه بفَضْلِ نجدَتِهِ التي فُضِّل بها عليه، كما يَذُبُّ عن نَفْسِهِ، فلو شاء اللهُ لجَعَلَهُ مِثلَهُ»[٢].

٤ ـ حفظه في غيبته و..

قال عليه السلام:

«لا يكون الصَّديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته»[٣].

٥ ـ حَمْلُ فعله على الصحة:

قال الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام:

«إحمل نفسك من أخيك عند صَرْمِهِ على الصِّلَةِ، وعند

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٩ ـ وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٩٣ ـ بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٩٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢١.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٤.

صُدُودِهِ على اللَّطف والمُقاربَةِ. وعند جمودِه على البَذْلِ، وعندَ تَبَاعُدِهِ على الدُّنُوّ، وعند شِدَّتِه على اللِّين، وعند جُرْمِهِ على العُذرِ حتى كأنَّك له عبدٌ، وكأنَّه ذو نِعمةٍ عليك، وإيَّاك أن تضع ذلِكَ في غير مَوْضِعِهِ، أو أن تَفْعَلَهُ بغير أهله، لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك، وامحض أخَاكَ النَّصيحَة حسنةً كانت أو قبيحةً، وتجرَّع الغيظ فإني لم أرَ جُرْعَةً أحلى منها عاقبةً، ولا ألذَّ مَغَبَّةً، ولِنْ لِمَنْ غالظك فإنَّهُ يوشكُ أن يلين لك، وَخُذْ على عدُوِّكَ بالفَضْلِ فإنَّهُ أحلى الظفرَيْن. وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نَفْسِكَ بَقيَّةً يَرجعُ إليها إن بَدَا له ذلِك يوماً ما. . .»[١].

وقال عليه السلام:

«لا تظنن بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً»[٢].

٦ ـ مبادلته بالأحسن:

قال عليه السلام:

«عاتِب أخاك بالإحسَانِ إليه، وأوردْ شَرَّه بالإنعام عليه»[٣].

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.

(٢) وسائل الشيعة: الحر العاملي ج ١١ ص ٥٩٣ ـ الكافي: للكليني ج ٥ ص ١٣.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٨.

٧ ـ إدخال السرور عليه:

قال عليه السلام لكميل بن زياد:

«يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارِم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم؛ فوالذي وسع سمعه وصوته ما من عبد أودع قلباً سروراً إلاّ وخلق الله من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى كالماء في إنحداره حتى يطردها عنه كما تُطرَد غريبة الإبل من حياضها»[١].

٨ ـ الثقة به:

قال عليه السلام:

«شرُّ الناس من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يق به أحد لسوء ظنّه»[٢].

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥٧٤ ـ وللتوسعة في مجال ما قاله الإمام علي عليه السلام حول أهمية الأخوَّة، وحقوق الأخوة وغيرها من المسائل المتعلِّقة بهذا البحث يُراجع: تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، لمصطفى درايتي ص ٤١١/ الباب الثاني في الإلفة والإخوة.

(٢) غرر الحكم ج ١ ص ٤٤٧.

د: صفات الأخ:

١ ـ أن يكون من أهل الخير:

قال عليه السلام:

قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تَبِن عنهم، لا خير في مُعينٍ مَهين[١]، ولا في صديقٍ ظنين[٢]»[٣].

٢ ـ أن يكون صاحب رأيٍ وعملٍ حسن:

قال عليه السلام في وصيته للحارث الهمذاني:

«واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلُهُم تقدمةً من نفسه وأهله ومالِه، فإنَّك ما تُقَدِّم من خيرٍ يَبْقَ لك ذُخْرُهُ، وما تُؤَخِّرهُ يكُنْ لغيرك خيرُهُ، واحذرْ صحابه من يَفيلُ[٤] رأيُهُ، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فإن الصَّاحِبَ مُعتبَرٌ بصاحبه»[٥].

٣ ـ أن لا يكون من أهل الفسق:

وقال أيضاً عليه السلام في وصيته للحارث الهمذاني:

---

(١) مهين: بفتح الميم بمعنى حقير.

(٢) الظنين: المتهم.

(٣) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.

(٤) فَالَ الرأي يَفيلُ: أي ضَعُفَ.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩.

«وإيَّاك ومُصَاحَبَةَ الفُسَّاق، فإن الشَّرَّ بالشَّرِّ مُلحَقٌ ووَقِّر الله، وأحبِبْ أحبَّاءَهَ، واحْذَرِ الغَضَبَ، فإنه جِنْدٌ عظيمٌ مِن جُنُود إبليس، والسَّلام»(١).

٤ ـ أن لا يكون أحمقاً ولا فاجراً ولا كاذباً ولا بخيلاً:

قال عليه السلام في وصيته لابنه الحسن:

«يا بُنيَّ: احفظ عني أربعاً، لا يَضُرَّك ما عملتَ مَعَهُنَّ:

إنَّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفَقْر الحُمْقُ، وأوحش الوَحْشَةِ العُجْبُ، وأكرم الحَسَب حُسْنُ الخُلُقِ.

يا بنيَّ: إيَّاك ومُصادقَة الأحمقِ، فإنه يُريدُ أن يَنفَعَك فيضُرَّك.

وأيَّاك ومُصادقَة البخيل، فإنه يَقْعُدُ عنك أحوَجَ ما تكونُ إليه.

وأيَّاك ومُصادَقَة الفاجر، فإنه يبيعك بالتَّافِهِ.

وإيَّاك ومُصَادقَة الكذَّاب، فإنه كالسَّراب.. يُقَرِّبُ عليك البَعيدَ، ويُبعِّدُ عليك القريب»(٢).

٥ ـ العلاقات الاجتماعية مع الجيران واليتامى والمساكين:

الإسلام دين الألفة والتوادد والتحابب في الله، دين الاجتماع

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٨.

والتعاون والتعاضد، وقد قال تبارك وتعالى في مقام الإمتنان على المؤمنين بنعمة الإلفة ممتدحاً صفة الإئتلاف.

﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألَّفت بين قلوبهم، ولكن الله ألَّف بينهم﴾(١).

وقد أمر القرآن الكريم المسلمين بالإتحاد والإتفاق متمسكين بحبل الله المتين وعدم الفرقة وبهذا الأمر امتازت طبيعة المجتمع الإسلامي. وإنطلاقاً من هذا المبدأ ركز الإسلام العلاقات الإجتماعية بين البشر وكان مما أكَّد عليه الإسلام وأوصى به هو حُسنُ الجوار.

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا بقوله:

«الله الله في جيرانكم، فإنَّهم وصيَّةُ نَبيِّكُم، ما زال يوصي بهم حتى ظننَّا أنه سَيُوَرِّثُهُمْ»(٢).

وقال عليه السلام:

«سل عن الرَّفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار»(٣).

ووصف عليه السلام الإنسان المتقي بأنه الذي لا يَضَرُّ بالجار فقال

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٣) نهج البلا غة: الكتاب ٣١.

عن صفات المتقي: «. . . ولا يُضارُّ بالجار»[١].

وأشار عليه السلام إلى أن حُسنَ الجوار هو من الخصال الحميدة فقال:

«فإن كان لا بدَّ من العصبيّة. . . فتعصبّوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالذّمام، والطّاعة للبرّ. . .»[٢].

ومن الأوصاف المهمة التي وصف الله تبارك وتعالى بها المؤمنين هي صفة التراحم والتعاطف فيما بينهم فقال سبحانه وتعالى:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشِدّاء على الكفار رحماء فيما بينهم تراهم ركّعاً سجّداً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[٣].

فالمؤمنون إذن هم المتراحمون والمتعاطفون فيما بينهم، يرحم بعضهم بعضاً، ويعطف كل منهم على الآخر. وهذه الصفة هي من أهم الصفات والفضائل والمكارم، لأنها تؤدي إلى عدم وجود محتاج ولا بائس ولا مسكين في وسط المجتمع.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

لأن المستطيع من أفراد المجتمع لا بد أن يُبادر حينئذٍ إلى مَدِّ يد المعونة إلى الضعيف، ويفتش عن الفقراء والمساكين، ويجهد نفسه في سدِّ حاجاتهم ورفع الكرب عنهم. ويسعى إلى الإحسان إلى اليتيم. وغيرها من أعمال الخير والإحسان التي أوصى بها الإسلام.

ونجد في كلام الإمام علي عليه السلام ما يدعو فيه إلى فعل الخير والبر والإحسان وإطعام اليتيم.

قال عليه السلام:

ـ بَرُّوا أيتامكُمْ وواسْوا فُقراءكُم وارفُقُوا بِضُعفائِكُم.

ـ كافِلُ اليتيم والمسكين عند الله من المُكرَّمين.

ـ من أفضل البرِّ بِرُّ الأيتام.

ـ من ظَلَمَ يتيماً عقَّ أولادهُ.

ـ ظُلمُ اليتامى والأيامى يُنْزِلُ النِّقم ويَسْلُبُ النِّعَمَ أهلَها[1].

وفي كلام له عليه السلام يقول:

«فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شرّاً فاذهبوا عنه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول:

---

(١) راجع تصنيف غرر الحكم: مصطفى درايتي ص ٤٠٩. الفصل السادس في اليتيم.

«يا بن آدم، إعمل الخير ودَعِ الشر، فإذا أنت جوادٌ قاصدٌ»(١).

وقال عليه السلام:

«عباد الله، إنه ليس لما وعد الله من الخير ترك، ولا فيما نَهَى عنه من الشرّ مَرْغَب»(٢).

وقال عليه السلام في بيان من هو أفضل المؤمنين.

«واعلم أنَّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمةً من نفسه وأهله وماله»(٣).

وقال عليه السلام:

«إفعلوا الخير ولا تَحْقروا منه شيئاً، فإنَّ صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولنّ أحدكم: إنَّ أحداً أوْلى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك»(٤).

وقال عليه السلام بأن أحبَّ العباد إلى الله هو العبد الذي لا يترك فعل الخير:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٧.
(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩.
(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٢.

«عباد الله، إنّ من أحب عباد الله إليه عبداً... لا يَدَعُ لخير غايةً إلا أمَّها، ولا مظنَّةً إلا قَصَدها»(١).

وقد نهى عليه السلام فاعل الخير عن المَنّ بإحسانه فقال:

«وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، فإنّ المنّ يبطل الإحسان»(٢).

ونهى أيضاً عن فعل الخير في غير موضعه وعند غير أهله فقال عليه السلام:

«وليس لواضع المعروف في غير حقِّه، وعند غير أهله، من الحظّ فيما أتى إلا محمدةُ اللّئام، وثناء الأشرار»(٣).

اثار الإحسان في الدنيا والآخرة:

لا شك بأن لفعل الخير آثاره الحسنة على فاعله في الدنيا والآخرة وقد ذكر الإمام عليه السلام هذه الآثار في ضمن كلماته وحكمه التالية:

قال عليه السلام:

«فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة وليفكّ به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.
(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
(٣) نهج البلاغة: الكتاب ١٤٢.

على الحقوق والنّوائب إبتغاء الثّواب، فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارِم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة، إن شاء الله»[١].

وقال عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاري:

«يا جابر، قوام الدّين والدنيا بأربعةٍ:

عالِمٍ مستعملٍ عِلْمَه، وجاهلٍ لا يستنكف أن يتعلَّم، وجوادٍ لا يبخلُ بمعروفِهِ، وفقيرٍ لا يبيع آخِرتَهُ بدنياه...

يا جابر، من كَثُرَتْ نِعمُ الله عليه كَثُرَتْ حوائجُ الناس إليه، فَمَنْ قام لله فيها بما يجبُ فيها عَرَّضَها للدوام والبقاء، ومن لم يَقُمْ فيها بما يجبُ عَرَّضَها للزوال والفناءِ»[٢].

وقال عليه السلام:

«يا كُمَيْلُ، مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويُدْلجوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصوات، ما مِن أحدٍ أَوْدَعَ قلباً سروراً إلاّ وخلق الله له في ذلك السرور لُطفاً، فإذا نزلت به نائبةٌ جرى إليها كالماء في إنحدارِهِ حتَّى يَطْرُدُهَا عنه كما تُطْرَدُ غريبةُ الإبل»[٣].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ١٤٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٢.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٧.

الفصل الثالث

العلاقات مع أهل الكتاب

- النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الكتاب.
- الإمام علي عليه السلام وأهل الكتاب.
- الإمام عليه السلام والسائل النصراني.

العلاقات مع أهل الكتاب

إن مقياس حضارة كل أمة هو في مقدار تمكُّنها من القيام بواجباتها الأخلاقية، وفي مقدار ضبطها للعلاقة مع سائر الأمم والشعوب، لأن الأمة التي تقيم علاقاتها مع الآخرين على أساس أخلاقي سليم وصحيح تكون بطريقٍ أولى قد استوعبت في داخلها كل هذه العناصر الأخلاقية والقيم الاجتماعية التي تُمكّنها من التفوق والإرتقاء في الحياة.

ومن المميزات والخصائص الأساسية للشريعة الإسلامية هي أنها استطاعت أن تجمع الناس كلهم على مبدأ الأخوة، إنطلاقاً من كونهم يرجعون إلى أصل واحد ومشترك، فصار الإنسان أخو الإنسان، وسرى هذا المبدأ إلى غير المسلمين وأصبح المسلم أيضاً يعتبر غير المسلمين إخوةٌ له باعتبار الاشتراك في العبودية لله وأنهم مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا يقول الإمام علي عليه السلام في عهده للأشتر:

«الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق»[١].

فللناس على اختلاف أديانهم وعقائدهم ومذاهبهم حقوق وواجبات كثيرة وفي طليعتها عَقْدُ أواصِر المحبّة والإلفة فيما بينهم.

ولهذا نجد أن النبي ﷺ قد اعتنى بشؤون الناس، وقضايا المجتمع عنايةً تامة، واهتمَّ الإسلام بالمعاملات والعلاقات العامة.

ولم يكن الإسلام في يومٍ من الأيام غافلاً ومنعزلاً عن المجتمع البشري بمختلف معتقداته. ومما يدلّ على ذلك هو تفرُّد الإسلام بوضع نظام اجتماعي له خصائصه ومميزاته التي يمتاز بها عن سائِر النظم الاجتماعية لكل الأديان التي عرفتها البشرية قبل الإسلام.

فهو نظام رباني إلهي يعتمد في تشريعاته على ما جاء في الكتاب العزيز والسنَّة النبوية التي ما هي إلا امتداد للقرآن الكريم.

وأما غيره من الأديان فإنها قد وضعت العقيدة جانباً واعتمدت على القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر.

وقام الإسلام على أساس المودَّة والاحترام لكل أفراد البشر

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

على اختلاف أديانهم ومذاهبهم. فالنظام الإسلامي يسمح بالتعاون الإيجابي مع جميع أهل الديانات الأخرى ولا يعاديهم، ولا يقاطعهم، ولا يحاربهم، إلا أن يبدؤوا هم بالعدوان. وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: .

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينَكُم. ألا نَعبُدَ إلا الله ولا نُشرِك به شيئاً ولا يتَّخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تَولَّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾(١).

وجاء أيضاً النص القرآني الثاني ليبيِّن بوضوحٍ كامل أساس العلاقات في الإسلام مع أهل الديانات حيث يقول تعالى.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبروُّهم وتقسطوا إليهم، إن الله لا يحب المقسطين... إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولَّهم فأولئك هم الظالمون﴾(٢).

وبناءً على هذا الدستور القرآني يتعامل الإسلام مع الناس أجمعين وهو يؤثِرُ المودَّة والإحترام على العداوة والبغضاء.

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الممتحنة: ٨ ـ ٩.

فعن جابر بن عبدالله الأنصاري. قال: مرَّت بنا جنازة فقام النبي ﷺ وقمنا، فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال: أوليست نفساً؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا.

وكذلك قرَّر الإسلام حرية العبادة ليس لاتباعه فقط بل لجميع أصحاب الديانات الأخرى المخالفة، مع دعوته الدائمة إلى أصحاب هذه الديانات لكي يرجعوا إلى فطرتهم في توحيد الله وتنزيهه عن الشرِّك ، والتي كانت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين سيما موسى وعيسى عليهما السلام .

النبي وأهل الكتاب:

خلال الفترة الزمنية الأولى من بعثة النبي الأكرم ﷺ وبعد استقراره في المدينة قام النبي بعقد معاهدات كثيرة وكان الكفّار أنفسهم طرفاً فيها في بعض الأحيان، وحافظ عليها كل المحافظة، ولم يسمح بنقضها إلا بعد أن نقضها الطرف الآخر.

وأبرز هذه المعاهدات هي الوثيقة التاريخية بين النبي ﷺ وبين اليهود وبعد وصوله إلى المدينة بخمسة أشهر.

هذه الوثيقة حددَّت أساس العلاقة في المجتمع الإسلامي الجديد مع هؤلاء الناس، وقد أقرَّهم النبي ﷺ فيها على دينهم

وأموالهم واشترط عليهم أن لا يعينوا أحداً، وإن دهم أمر فعليهم النصر، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل... ولكن سرعان ما نقض اليهود العهد، وعادوا إلى المكر والخداع، والغدر، ولا يحيقُ المكرُ السيء إلا بأهله.

والملاحظة المهمة في هذه الوثيقة المشار إليها هي أنها لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، وإنما تعرَّض جانب كبير منها إلى تقرير قواعد كلية، وأسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم، كان لا بد منها لتلافي الأخطاء المحتملة قبل أن تقع.

ومما جاء في هذه الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس والمهاجرون من قريش على ربعتهم[١] يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم[٢] بالمعروف والقِسطِ بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى.....

(١) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٢) العاني: الأسير. والمعاقل: الديات.

كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقِسط بين المؤمنين.

وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[١] بينهم، أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[٢] ظلم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإن من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم...

لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم...

وليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف[٣]...

---

(١) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

(٢) الدسيعة: الظلم.

(٣) راجع الصحيح من سيرة النبي ﷺ: السيد جعفر مرتضى ج ٣ ص ٧٠ نقلاً عن سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٧ ـ ١٥٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

الإمام علي عليه السلام وأهل الكتاب:

لم تكن طبيعة الإمام علي عليه السلام في تعامله مع أهل الكتاب مختلفة عن الموازيين المقاييس التي حددَّها القرآن الكريم، والرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

فعندما كان الإمام يوصي ولاته في الأمصار بالحفاظ على شؤون الناس، ورعايتها، كان كلامه يشمل أهل الذمّة أيضاً.

ففي عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر يقول:

«واعلم أن الرعيَّة طبقاتٌ لا يَصلُحُ بعضها إلا ببعضٍ، ولا غنى ببعضها عن بعض:

فمنها جنود الله، ومنها كُتَّابُ العامَّة والخاصَّة، ومنها قُضَاةُ العدلِ، ومنها عُمَّال الإنصاف والرِّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذِّمة ومُسْلِمَة الناس، ومنها التَّجارُ وأهلُ الصناعات، ومنها الطبقات السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلٌّ قد سمى الله له سهمه، ووضع على حدِّه فريضةً في كتابه أو سُنَّةِ نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم عهداً منهُ عندنا محفوظاً»[1].

وقد ذكرت بعض الكتب التاريخية الآداب التي كان يتعامل

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

فيها الإمام علي عليه السلام مع أهل الكتاب، ومما جاء من سيرته في ذلك.

أن الإمام عليه السلام صاحب ذات ليلةٍ مسيحياً في الكوفة، وهو خليفة المسلمين، حتى كانا في مفترق الطريق، فلم يفارقه الإمام عليه السلام بل صاحبه ماشياً نحو بيت المسيحي إلى مسافةٍ ما، ثم ودَّعه وأمَّ الرجوع، فقال له المسيحي: ظننت أن لك في هذه الحارة شغلاً.

فقال عليه السلام ما مؤاده: كلا، بل من شأن الصاحب أن يشايع صاحبه إلى مسافةٍ ما ـ حتى يأمن عليه ـ.

فقال المسيحي: وهل هذه هي تعاليم الإسلام.

فقال له الإمام: نعم.

فعند ذلك أسلم ذلك النصراني[1].

فهذه صورة واضحة عن أخلاق خليفة المسلمين مع الإنسان المسيحي وقد ذُكرت حادثة أخرى في هذا المجال وهي:

أن الإمام علي عليه السلام افتقد درعه فوجدها عند رجلٍ نصراني، فأقبل به يقاضيه إلى شريح القاضي وقال: إنها درعي ولم أبع ولم أهب.

---

(١) راجع التكامل في الإسلام: أحمد أمين ج ١ ص ١٣٠.

فسأل شريح القاضي النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟.

قال: ما الدرع إلاّ درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب!.

فالتفت شريح إلى الإمام يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بيِّنة؟.

فضحك الإمام وقال: أصاب شريح، ما لي بيِّنة.

فقضى شريح بالدرع للنصراني. فأخذها ومشى (وأمير المؤمنين ينظر إليه..) إلا أن النصراني لم يخطو خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أنّ هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يديننى إلى قاضيه فيقضي عليه، أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين..... فقال علي عليه السلام: أما إذا أسلمت فهي لك[1].

ومما اختُصَّ به أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام هو ذلك الحب الذي وهبه إيَّاه جميع الناس على اختلاف أديانهم، نتيجة لسياسته الحكيمة، وتعامله المميَّز معهم على قواعد المحبة والأدب والاحترام للإنسان بما هو إنسان.

---

(١) سنن البيهقي ج ١٠ ص ١٣٦ وفي ج ٤ ص ٦. ـ وذكر الحادثة سيد قطب في كتابه: نحو مجتمع إسلامي ص ١٢٨.

قال شارح النهج المعتزلي

«وما أقول في رجلٍ تحبّه أهل الذِّمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظِّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصوِّرُ ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمِّراً لحربه، وتصوِّر ملوك الترك والدّيْلم صورته على أسيافها!.

كان على سيف عَضُد الدولة بن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب ارسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر»[1].

الإمام والسائل النصراني:

من الملاحظات المهمة التي نجدها في حياة أمير المؤمنين ومولى المتقّين الإمام علي عليه السلام هي العناية التي أولاها لكل أفراد المجتمع من دون أن يأخذ بعين الاعتبار مسألة عقيدتهم.

ففي نظر الإمام عليه السلام أن المجتمع يجب أن يرتقي إلى مرحلة التكامل بجميع أفراده فالحاكم العادل هو الذي ينظر إلى فقراء المجتمع جميعاً من غير استثناء لأحد.

ويظهر ذلك من قضية أمير المؤمنين عندما مرَّ بجانبه شيخ

(١) شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٨.

مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ فقال أصحابه: يا أمير المؤمنين نصرانيّ، فكان جواب الإمام لهم بأن قال:

«استعملتموه حتى إذا كَبُر وعَجِزَ منعتموه. أنفقوا عليه من بيت المال»[1].

وهكذا نجد أن الإمام عليه السلام لم يمنع أهل الكتاب من الحقوق المفروضة للفقراء في بيت المال. حيث أمر بمساعدة النصراني من بيت مال المسلمين وهذا يعود إلى اهتمام الإمام بإنسانية الإنسان، وانفتاح الإسلام على سائر الأديان التي تؤمن بوجود الله.

وهذا ما يجسِّد بشكلٍ واضح العلاقة التي أرساها الإمام عليه السلام مع النصارى في ذلك الوقت، ليعلِّمهم بأن الإسلام دين الإنسانية ودين الفطرة ودين السعادة لكل البشر على الإطلاق.

---

(١) راجع وسائل الشيعة: الحر العاملي ج ١١ ص ٤٩.

وأخيراً. . . فإن ما استعرضناه بين يدي القارىء الكريم ما هو إلاَّ شذرات وقبسات من الرؤية الاجتماعية والنظريات التي صاغها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مجال النظم الإجتماعي لبناء العلاقات الاجتماعية السليمة والصحيحة بين أبناء البشر.

ولو أمعنَّا النظر وأنصفنا في حديثنا عن هذه الرؤية والنظرية التي طرحها الامام قبل أربعة عشر قرن لوجدناها سابقة لزمانها متقدمة على عصرها، لا بل إنَّ ما جاء به الامام عليه السلام في تلك الفترة من الزمن يعجز عن الإتيان به كل علماء الإجتماع في تاريخنا المعاصر. . . ذلك أن علي بن أبي طالب عليه السلام سبق زمانه، ليس في النظريات الاجتماعية فحسب، وإنما في جميع مجالات الحياة ليبقى منارة يهتدي بها من ضلَّ الطريق وأراد أن ينتقل من ظلمات الجهل إلى نور الحقيقة.

فها هو علي بن أبي طالب عليه السلام يفتح الأبواب ويشرّعها لكل طالب وباحث عن الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع لسلسلة
البحوث الموضوعية في نهج البلاغة

ـ أ ـ

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ـ منشورات دار التعارف ـ لبنان.

٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ـ لإبن حجر العسقلاني. وبهامشه الإصابة لابن عبد البر القرطبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ لبنان ـ بيروت.

٤ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ لبنان ـ بيروت.

٥ ـ إحياء علوم الدين ـ الغزالي، دار الفكر ـ لبنان ـ بيروت.

٦ ـ الإستخبارات والأمن ـ الشيخ علي دعموش ـ دار الأمير ـ لبنان ـ بيروت.

٧ ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ـ جورج جرداق.

٨ ـ الإسلام والحضارة العربية ـ محمد كرد علي.

٩ ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب ـ إبن عبد البر.

١٠ ـ الأسير في الاسلام ـ العلامة الأحمدي ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ إيران ـ قم.

١١ ـ الأصول من الكافي والفروع من الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٢ ـ الحياة السياسية للامام الرضا(ع) ـ السيد جعفر مرتضى ـ منشورات جماعة المدرسين ـ ايران ـ قم.

ـ ب ـ

١٣ ـ بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٤ ـ بهج الصباغة ـ الراوندي ـ منشورات مكتبة الصدر.

١٥ ـ البداية والنهاية ـ إبن الأثير.

١٦ ـ بحوث حول النظام العسكري في الإسلام ـ أحمد زماني ـ الدار الإسلامية ـ لبنان ـ بيروت.

ـ ت ـ

١٧ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت.

١٨ ـ تاريخ الطبري ـ مؤسسة الأعلمي ـ لبنان ـ بيروت.

١٩ ـ تصنيف نهج البلاغة ـ لبيب بيضون ـ مركز النشر في مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٢٠ ـ تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ـ تحقيق مصطفى داريتي ـ منشورات مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٢١ ـ تاريخ التمدّن الإسلامي ـ جرجي زيدان.

٢٢ ـ تاريخ الإسلام ـ د. حسن إبراهيم ـ دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت.

٢٣ ـ تاريخ اليعقوبي.

٢٤ ـ تفسير نور الثقلين ـ الحويزي ـ مؤسسة إسماعيليان ـ ايران ـ قم.

ـ ث ـ

٢٥ ـ ثورة الحسين: ظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ دار التعارف ـ بيروت.

ـ ج ـ

٢٦ ـ الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن ـ الشهيد المطهّري ـ منشورات منظمة الإعلام الإسلامي.

٢٧ ـ جواهر الكلام ـ النجفي ـ دار الكتب الإسلامية ـ إيران ـ قم.

٢٨ ـ الجهاد أعلى مراحل الكفاح الوطني ـ جلال الدين الفارسي ـ مؤسسة البعثة ـ إيران ـ طهران.

ـ ح ـ

٢٩ ـ حقّ الأمان في المجالات المختلفة ـ الآصفي ـ منظمة الإعلام الإسلامي.

٣٠ ـ حياة الإمام زين العابدين ـ باقر شريف القرشي ـ دار الكتاب الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٣١ ـ الحرب ـ العقيد محمد صفا ـ دار النفائس ـ لبنان ـ بيروت.

ـ د ـ

٣٢ ـ الخصال ـ الشيخ الصدوق ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ إيران ـ قم.

ـ د ـ

٣٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ دار الفكر ـ لبنان ـ بيروت.

٣٤ ـ دراسات في نهج البلاغة ـ الشيخ شمس الدين ـ دار الزهراء ـ لبنان ـ بيروت.

٣٥ ـ دروس سياسية في نهج البلاغة ـ محمد تقي رهبر ـ منظمة الإعلام الإسلامي.

٣٦ ـ الدليل إلى موضوعات نهج البلاغة ـ علي أنصاريان ـ إنتشارات مفيد ـ إيران ـ طهران.

ـ ذ ـ

٣٧ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ آقا بزرك الطهراين ـ دار الأضواء ـ لبنان ـ بيروت.

ـ ر ـ

٣٨ ـ رؤى الحياة في نهج البلاغة ـ حسن الصفار ـ مؤسسة الأعلمي ـ لبنان ـ بيروت.

ـ س ـ

٣٩ ـ سيرة المصطفى ـ هاشم معروف الحسني ـ منشورات الشريف الرضي ـ إيران ـ قم.

٤٠ ـ سيرة الأئمة الإثنا عشر ـ الحسني ـ منشورات الرضي ـ إيران ـ قم.

٤١ ـ سنن النبي(ص) ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

ـ ش ـ

٤٢ ـ شرح العالم إبن ميثم البحراني على المائة كلمة لأمير المؤمنين(ع) ـ منشورات جامعة المدرسين ـ إيران ـ قم.

٤٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ إبن أبي الحديد ـ منشورات مكتبة آية الله النجفي ـ إيران ـ قم.

٤٤ ـ شرح نهج البلاغة ـ الشيخ محمد عبده ـ منشورات مكتبة الإعلام الاسلامي.

٤٥ ـ شرح نهج البلاغة ـ صبحي الصالح ـ إنتشارات هجرت ـ إيران ـ قم.

٤٦ ـ الشريف الرضي ـ د. الشيخ محمد هادي الأميني ـ مؤسسة نهج البلاغة ـ إيران ـ قم.

٤٧ ـ شرائع الإسلام ـ العلامة الحلي.

ـ ص ـ

٤٨ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم(ص) ـ السيد جعفر مرتضى ـ منشورات جماعة المدرسين ـ إيران ـ قم.

٤٩ ـ العقد الفريد ـ الأندلسي.

ـ غ ـ

٥٠ ـ غرر الحكم ودرر الكلم ـ الآمدي.

ـ ف ـ

٥١ ـ الفصول المائة في حياة أبي الأئمة ـ السيد علي زاده القمي ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٥٢ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ـ السيد مرتضى الفيروز آبادي ـ منشورات مؤسسة الأعلمي ـ لبنان ـ بيروت.

٥٣ ـ في رحاب نهج البلاغة ـ الشهيد المطهري ـ ترجمة هادي اليوسفي ـ دار التبليغ الإسلامي.

ـ ك ـ

٥٤ ـ الكامل في التاريخ ـ إبن الأثير ـ دار صادر ودار بيروت ـ لبنان ـ بيروت.

٥٥ ـ كشف الغمَّة في معرفة الأئمة ـ المحقق الأربلي ـ المكتبة الإسلامية ـ إيران ـ قم.

ـ ل ـ

٥٦ ـ لسان العرب ـ إبن منظور ـ دار الفكر ـ لبنان ـ بيروت.

ـ م ـ

٥٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ دار المعرفة ـ لبنان ـ بيروت.

٥٨ ـ مستدرك الوسائل ـ المحدّث النوري ـ مؤسسة آل البيت(ع) ـ إيران ـ قم.

٥٩ ـ مصادر نهج البلاغة وأسانيده ـ السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ـ دار الأضواء ـ لبنان ـ بيروت.

٦٠ ـ المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ـ أويس كريم محمد ـ منشورات مجمّع البحوث الإسلامية ـ إيران ـ قم.

٦١ ـ المناقب ـ أحمد بن محمد المكي الخوارزمي ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٦٢ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ الميرزا الخوئي ـ منشورات مكتبة آية الله النجفي ـ إيران ـ قم.

٦٣ ـ مع الإمام في نهجه ـ طالب الحسيني الرفاعي ـ دار الأضواء ـ لبنان ـ بيروت.

٦٤ ـ ميزان الإعتدال ـ الذهبي.

٦٥ ـ مع المرأة في نهج البلاغة ـ فتحية عطوي ـ الدار الإسلامية ـ لبنان ـ بيروت.

٦٦ ـ المجتمع والتاريخ ـ العلامة الشهيد آية الله مرتضى مطهري.

ـ ن ـ

٦٧ ـ النظام السياسي في الاسلام ـ باقر شريف القرشي ـ دار الكتاب الإسلامي ـ إيران ـ قم.

٦٨ ـ نهج الحياة ـ مجموعة بحوث ومقالات حول نهج البلاغة ـ مؤسسة نهج البلاغة ـ إيران ـ طهران.

٦٩ ـ نظام الحكم والإدارة في الإسلام ـ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ـ المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ـ لبنان ـ بيروت.

٧٠ ـ نحو مجتمع إسلامي ـ سيد قطب.

ـ هـ ـ

٧١ ـ الهجرة والجهاد ـ الشهيد المطهري ـ منشورات منظمة الإعلام الإسلامي ـ إيران.

ـ و ـ

٧٢ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ـ منشورات دار إحياء التراث العربي ـ لبنان ـ بيروت.

٧٣ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ لبنان ـ بيروت.

٧٤ ـ وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم المنقري ـ منشورات مكتبة آية الله النجفي ـ إيران ـ قم.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
○ **الفصل الأول**: الاسلام وبناء المجتمع	٩
تمهيد	١١
الحالة الاجتماعية للعرب قبل الاسلام	١٣
بناء المجتمع الاسلامي الأول	١٦
الامام علي عليه السلام والمجتمع	٢٣
○ **الفصل الثاني**: النظام الاجتماعي عند الامام علي عليه السلام	٣١
علاقة الانسان بالله تعالى	٣٣
علاقة الانسان بنفسه	٤٤
العلاقات الاجتماعية الخاصة	٥٦
○ **الفصل الثالث**: العلاقات مع أهل الكتاب	١٠٣
النبي صلى الله عليه وآله وأهل الكتاب	١٠٥
الامام علي عليه السلام وأهل الكتاب	١١

الامام عليه السلام والسائل النصراني ١١٤
فهرس المصادر والمراجع لسلسلة البحوث الموضوعية
في نهج البلاغة ١١٧

صدر للمؤلف

- سبيل المعرفة.
- الولاية والحاكمية عند الشيعة.
- حلية المتقين - ترجمة.
- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام.
- بحوث موضوعية في نهج البلاغة.

الجهاد والحرب في نهج البلاغة.

نظام العلاقات الإجتماعية في نهج البلاغة.

مجتمع العدالة في نهج البلاغة.

أضواء على نهج البلاغة.

كتب تحت الطبع

- سيرة حياة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه.
- حقوق الحيوان في الإسلام.
- أصول ومبادىء الحياة الزوجية في الإسلام.